رواية

# ياسمين

علاء الدين إبراهيم

obeikandl.com

المقدمة

منذ فترة وأنا عازم على خوض معركة التأليف، وقد حددت موضوع كتابي وهو: الكلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بجوانبه الكثيرة المتشعبة ومواقفه العظيمة الطيبة موجها هذا كله إلى المخالف ممن لا يؤمن بنبوته - صلى الله عليه وسلم - وأيضا لمن أحبوه واتبعوه، وكان التردد عندي في الشكل الذي سأقدم فيه كتابي، فإن الكثير ليس عندهم الطاقة على قراءة المعلومات سردا؛ ولذلك قررت أن أغلف موضوعي بغلاف الرواية؛ ولذا وضعت ما أريد قوله في إطار رواءي مصطنع تماما، فقابلت الحقيقة بالخيال، والماضي بالحاضر، وهذا هو وجه الخلاف بيني وبين من سبق أن حكى السيرة بأسلوب الرواية، فهم نقلوا أحداث السيرة في شكل رواية، وأنا وضعت السيرة في رواية، وعند القراءة سيتضح الأمر بإذن الله، وإن كنا نتكلم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالأمر يحتاج إلى توثيق؛ ولذلك قمت بتخريج الأحاديث تخريجا مبسطا جدا لمعرفة مكان وجودها، ولم أحكم عليها فكلها صحيحة إن شاء الله، ولولا أمانة النقل لما قمت بالتخريج أصلا حتى لا أفصل القارئ عن متابعة الأحداث، وعلى كل حال لا أدعي العبقرية ولكن أدعي محاولة التجديد، وإن كانت الفكرة جيدة فهل التنفيذ على قدر المطلوب أم لا؟ هذا ما سأتركه لك أخي القارئ وأسأل الله أن يوفقني وأمة الإسلام إنه ولي ذلك والقادر عليه.

علاء إبراهيم.

(أبو يحيى)

في حي "مدينة نصر"، وتحديدا في أكبر شوارعها شارع "مصطفى النحاس" كان يقطن الشيخ "أبو يحيى"، كان إماما للمسجد الكبير هناك، لم يكن إماما رسميا ولا يأخذ على إمامته أجرا، ولكن أصبح إماما لأنه أقرأ القوم وأعلمهم، فرأى أهل الحي أنه الأجدر بالمحراب، وكانت أول صلاة صلاها بهم منذ سنين ليست بالبعيدة عندما غاب الشيخ "عيد" لمرضه، ذلك الرجل السبعيني الذي كان إماما لهم على مضض منهم لسوء مخارجه ولتلعثمه الكثير في الصلاة، نظر القوم في المسجد فقدموا أبا يحيى، ليس لسبب في البداية سوى توسمهم فيه الخير، و ما أن ابتدأ صلاته إلا أبهرهم بجمال صوته وإتقانه لأحكام التجويد، فثبتوه إماما بعد إبداء الرضى التام من الشيخ "عيد"، وبعد ذلك بأسابيع تأخر خطيب الجمعة المبعوث من الجمعية الشرعية لحداثة علمه بمكان المسجد فارتبك الناس ظنا منهم أنه لن يأتي، وقام أبو يحيى خطيبا بهم فأبهرهم أيضا بقوة ارتجاله ومتانة علمه وفصاحة لسانه، ووجد الناس فيه ملاذهم وطريقهم إلى معرفة كل شيء عن الشرع يُسأل فيجيب بعلم وحجة، وما هي إلا شهور معدودة حتى ذاع صيت الشيخ أبي يحيى، لم يكن أبو يحيى بالرجل العجوز على ما يظهره اسمه بل كان شابا في الثلاثين، ولم يكن يحيى هذا ولده بل إنما هي كُنية تكنى بها تيمنا بالصحابي الجليل صهيب الرومي، ذاك الصحابي الذي ترك الدنيا لأجل الآخرة، وترك كل ما يملكه في مكة مساومة للمشركين ليقبلوا لحوقه برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة، فما أن رآه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا قال له "ربح البيع أبا يحيى"([1]).

يعمل أبو يحيى مدرسا لمادة التاريخ للمرحلة الإعدادية إلى جانب تجارته في العطور التي عمل بها منذ صغره، و التي جنت عليه أموالا ليست بالطائلة ولكنها كفيلة أن تجعله ميسور الحال؛ وهذا ما عجل له الزواج بعد التخرج مباشرة من ابنة عمه "هداية"، هذه

([1]) مسند أحمد /مسند أنس بن مالك ٤٦٥/١٩

المرأة التي كانت له خير مُعين وخير سند منذ زواجهما، كانت له بمثابة الأم، والزوجة، والحبيبة، وكان يحبها حبا كبيرا، وبالرغم من زواجهما منذ ما يقرب من سبع سنين إلا أنهما لم يرزقا بأطفال، وهذا هو نصيب المرار من الحياة بالنسبة لأبي يحيى، ولعله كنَّى نفسه حتى يجبر نقصه لأن المانع منه، لم تشعره "هداية" قط بهذا، وكانت تكتم حزنها في قلبها، وتمنع دموعها من النزول على خدها حتى لا تسبب الحرج لزوجها وهو الذي لم تر منه شيء تكرهه قط، فهي المقَدمة عنده بعد ربه، ودائما يعاملها بلطف كأنما تزوجها منذ أيام، نعم هو مشغول عنها بين عمله وطلبه للعلم الشرعي والدعوة ولكن كل الأزواج في انشغال، والحمد لله أن انشغاله في طاعة، ولعل الله يرزقنا الأطفال ببركة علمه، هذا ما كانت "هداية" ترده دائما لتصبر نفسها، لم تفقد يوما الأمل في الإنجاب، وهو شعور مماثل لدى زوجها بالرغم من تأكيد الأطباء على صعوبة الأمر، إلا أنه كان يعلم أن الله على كل شيء قدير، وكان يدعو ربه في صلاته دائما (**رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**)([٢])، كان أبو يحيى تقيا ورعا، ظاهره كباطنه، إلا أنه كانت تعتريه في بعض الأوقات بعض الكآبة نتيجة لعدم إنجابه لكن كان يُخفى إحساسه عن الناس، وما كان يصبره إلا لقاء ربه في الصلاة وقراءة القرآن، فكان يشتاق إلى دخول الليل حتى يقف بين يدي الله مستعينا به على فك كربته، وغالبا في كل ليلة يسمع صوت ضجيج من الشقة المقابلة، إنه جاره أستاذ "محمود" وصراعه اليومي مع زوجته مدام "إلهام"، ورغم أن الله رزقهما بولدهما "أدهم" صاحب السنتين والنصف إلا أنهما في صراع دائم، كل ليلة تقريبا يُخرج صراخ أستاذ "محمود" وبكاء مدام "إلهام" أبا يحيى من حالة خشوعه في الصلاة، ولكن هذا الأمر وأمثاله كان يهون بعضا من مُصابه، فما من أحد إلا وله حظ من الابتلاء، فلا صاحب الولد في راحة ولا المحروم منه، فيجعله يحمد ربه على بلواه، ولقد كان بكاء مدام "إلهام" من أبلغ ما يُأثر في وجدان أبي يحيى، فأبو يحيى

---

([٢]) الأنبياء -٨٩

رقيق المشاعر تجاه بكاء النساء كان بكاؤها يذكره ببكاء أمه، فحياة أمه تشبه كثيرا حياة هذه المرأة الوقورة في الصراع الدائم بينها وبين زوجها، لم يكن أبو يحيى يعلم حقيقة الصراع بين أستاذ "محمود" وزوجته لكن كان يغضب منه كلما سمع بكاء مدام "إلهام"، ليس لشيء سوى للذكرى المريرة التي طبعتها في ذهنه دموع أمه من قسوة أبيه، فلم يكن أبو يحي حياديا ولا موضوعيا في أي صراع بين رجل وامرأة، كان مواليا دائما للمرأة، وهذا هو سر تعامله الرقيق مع "هداية" زوجته، وكان إذا احتدم الصدام بين "إلهام" و"محمود" يفصل بينهما بكاء طفلهما فيقرران إنهاء الصراع على ضغينة باقية في قلب كل منهما، فلم يشتف أي منهما من الآخر ولكن لأجل الصغير تُنهى الحرب، وكان بكاء أدهم هو أكثر ما يجدد وجع الحرمان في قلب أبي يحيى، يتمنى لو دخل إليه ليحمله حتى يهدأ من روعه ويسكن آلامه، يردد في قلبه "ما أتعس هذا الطفل وأتعس هذين الزوجين، الحمد لله أنى لست في ابتلائهما" ثم يعود قائلا: ليت بيني وبين زوجتي صراعات وكان لنا مثل هذا الولد".

(منذر وحائر)

هما صديقان منذ الطفولة، وإن كانت البراءة جمعت بينهما في الطفولة ولكن فرق بينهما في الكبر اختلاف فكرهما، وثقافتهما، وعقائدهما، وإن تمسكا بصداقتهما وبلقائهما على فجوة بينهما في التعامل مع الأمور خصوصا في التعامل مع الدين، حائر صاحب فكر معادٍ للإسلام ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وكان يصطدم بمنذر في كثير من الأحيان في النقاش، ولم يكن منذر يبتعد عن حائر لأجل هذا فلقد كان يرى منه خيرا كثيرا، ولم يكن حائر ليُسَعِّر قلب منذر عليه فكان يُغَلف كلامه بغلاف من الاحترام لمراعاة مشاعر منذر، ولقد انفتح بينهما الحوار مرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يكن إلا حوارا من مئات الحوارات المماثلة، وكان موضوع النقاش محاولة إقناع منذر لحائر أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لا يمكن أن يكون مخادعا، فما الباعث على هذا ولقد قال منذر: لا يختلف اثنان عاقلان أن تحمل أمانة الوحي المنزل من عند الله مسئولية كبرى بالنسبة إلى الأنبياء وأمر ثقيل على النفس، فهذا موسى لما علم أن الله اختاره للرسالة أشفق على نفسه أن يتحملها وحده؛ ولذلك أراد عاضدا ووزيرا يتحمل معه هذا العبأ الثقيل وطلب من الله ذلك فقال (اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)([٣]) واستجاب الله لموسى فقال (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ)([٤]) وما كانت الرسالة على محمد - صلى الله عليه وسلم - بأهون من التي نزلت على موسى بل أشد، وكان الحِمل أثقل، وأبلغ ما يوضح لنا كيف كانت أعباء الرسالة على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو قوله في سكرات الموت ردا على ابنته فاطمة الثكلة التي كانت تندبه (**واكرب أبتاه**) فقال (**لا كرب على أبيك بعد اليوم**)([٥])، وهذا لأن حياته صلى الله عليه وسلم كانت مليئة بالصعوبات الطاحنة التي جنتها عليه دعوته إلى الحق، وآخر هذه

---

([٣]) طه

([٤]) القصص ٣٥

([٥])

الصعاب سكرات الموت التي يتلوها النعيم الأبدي، وما الأمر عند مدعي النبوة من الكذابين الأفاكين بالأمثل منه عند الأنبياء الصادقين، فهم يواجهون أيضا كثيرا من الصعاب، فما قام كذاب يدعى النبوة إلا وانبرى له أبناء الإسلام البررة حتى يقضوا عليه، إما عن طريق جهاد السلاح إن كان المسلمون في قوة ومنعة كما حدث في خلافة أبى بكر الصديق وقتاله للمرتدين وأتباع الكذبة من أمثال مسيلمة الكذاب ،وسجاح، والأسود العنسي، أو بجهاد الكلمة وإقامة الحجة على كذبه إن لم يكن في استطاعة المسلمين إلا هذا، كما حدث مع القدياني الذي ادعى النبوة وكان في كنف الحكومة البريطانية فما استطاع أحد أن يمسه بسوء، ولكن قام علماء بلدته من المسلمين الأنقياء وعلى رأسهم الشيخ الجليل (ثناء الله الأمر تسري) - رحمه الله - ، فأقام مع هذا الدجال المناظرات والمناقشات، ودوما كان النصر حليفا له، فكشف بهتانه، وأوضح زيغه، ونفض التراب عن غيه([٦])، وإن كان الأمر بالنسبة لمدعي النبوة ليس بالهين فلابد أن يكون لما يقومون به مقابل، فكثرة الأجر على قدر المشقة، وهذا المقابل إما مادي أو معنوي على حسب ما ينقص هذا الشخص الكذاب، فلا يمكن أن نتصور أن أحدا يقدم على هذه الخطوة التي تستدعي استنفار الناس عليه بغير مقابل.

وهنا علا صوت حائر مقاطعا منذر وقال مبتهجا:

-ولأجل المنفعة الشخصية ادعى محمد النبوة، فقد كان محمد يحب الرئاسة والسطوة وحب الظهور ففعل ما فعل.

- يعني أنت ترى أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - ادعى النبوة لأجل الشهرة ورفع الذكر؟

- هذا مما لا شك فيه، فكل من يقرأ سيرته يعلم هذا منه، وكل من يعلم شيئا عن الإسلام يتيقن من هذا، فتسمع في الأذان اسمه، وفى الصلوات تصلون عليه، ولا تجلس دقائق مع مسلم إلا وتسمع منه

([٦]) انظر كتاب القديانية للشيخ إحسان إلاهى ظهير صفحة ٤١

ذكرا عن محمد، فإذا ذكره ترى الجموع من حوله يصلون عليه؛ حبه للشهرة جعله يأمركم أن تخلدوا اسمه دائما وجعل من ترديد اسمه شرعا.

قال منذر بنغمة هادئة وابتسامة لطيفة: تحاملك ظاهر جدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وفكرك لا شك في سطحيته؛ لأن ما استدللت عليه موجود عند أتباع كل نبي، فأنا لا أرى رجلا مسيحيا إلا وهو يذكر عيسى ويمجد اسمه، وهكذا عند باقي الأديان والملل، وما أرى غضبك من ذكر اسمه إلا نتيجة لتكذيبه ولا يكون مثل هذا دليلا على كذبه.

- ما معنى هذا الكلام؟

- أقصد أن كثيرا مما يُنقم على محمد - صلى الله عليه وسلم - يشترك فيه مع سابقيه من إخوانه الأنبياء، وقد تجد رجلا ينتقد محمدا - صلى الله عليه وسلم - في شيء وهذا الرجل يتبع دينا ويصدق بنبي وقد فعل نبيه مثل ما فعل محمد صلى الله عليه وسلم، لكنه لما كذب محمدا لم يتقبلها منه وجعلها دليلا على كذبه، بينما تقبل نفس الفعل من نبيه الذي يؤمن به ويصدقه لأنه تربى على هذا، فمثلا تجد كثيرا من غير المسلمين يستدلون على عدم نبوة محمد بأنه كان كثير الزواج، وفى نفس الوقت يؤمنون بالتوراة التي فيها أن سليمان تزوج بألف امرأة وأن إبراهيم تزوج بثلاثة وكان له ملك يمين يطأهن، فقبلوا هذا من أنبيائهم، بينما جعلوا ما تقبلوه من أنبيائهم دليلا على كذب محمد عندهم.

- أنا لا أحب السفسطائية، ولا أحب الكلام الكبير، وكل ما أعرفه أن محمدا يحب الرئاسة والظهور، ولذلك ادعى النبوة

- لو مررت بعينك على سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قلت هذا عنه أبدا، ولو سمعت منه ولم تسمع عنه لعرفت أنه كان لا يحب الظهور، وأكبر دليل على هذا أنه لم ينسب الإسلام إلى نفسه أبدا.

- ما معنى أنه لم ينسب الإسلام إلى نفسه؟

- ما معنى أن يكون الشخص محبا للرئاسة وحب الظهور؟ أليس معنى هذا أنه يحب أن تُنسب إليه الأمجاد والأعمال ويُشار إليه بالبنان؟ فمن بنى مصنعا يحب أن يكتب عليه اسمه، ومن أنجب ولدا ينسبه إلى نفسه.

-هذا ما أعنيه وهو الذي كان محمد يفعله.

وفى أثناء ما كان حائر يقول هذا الكلام إذ أعلن هاتفه النقال أن ثَم متصلا، رد حائر، فإذا هو صديقهم "محمود" يعلمه بأنه في الطريق إليهم، فأجابه حائر بأنه في انتظاره، ووضع هاتفه على المنضدة أمامه، ونظر إلي منذر، فقال له الأخير مجيبا على كلامه: فما رأيك أن محمدا لم يصنع هذا؟ فلو كان القرآن من اختلاقه كما تعتقد كان من الطبيعي أن تطغى شخصيته عليه، فمن ألف كتابا لابد أن ترى آثاره في جميع أركان الكتاب، وتشتم نسماته في جوانب الحروف، وليس من هذا شيء في القرآن، ثم سكت هيبنة، وأخذ نفسا سريعا، وأعقبه بسؤال مفاجئ:

-يا حائر، هل تعلم كم مرة ذُكر فيها اسم محمد - صلى الله عليه وسلم - في القرآن؟

-لا أعلم على وجه التحديد، ولكن تقريبا في كل سورة من سور القران.

اتسعت الابتسامة على وجه منذر، وقال: افتح حاسوبك واكتب على (جوجل) كم عدد المرات التي ذكر فيها اسم محمد في القران؟

أخذ حائر حاسوبه، وفعل ما أمره به منذر، ثم نظر إليه مستغربا.

- لك الحق أن تعجب كل هذا العجب بعد أن علمت أن اسم محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أربع مرات فقط في القران "**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا**

**رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ"**([٧])

**"مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"**([٨])

**" وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ"**([٩])

**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"**([١٠])

هل يعقل أن رجلا يؤلف كتابا يذكر فيه اسمه بهذا العدد الزهيد؟ وليس هذا بأشد العجب بل هناك ما هو أعجب.

- وما هذا؟ قالها حائر بنغمة صوت يعلوها الإحراج مع كثير من الكبر في تعبيرات وجهه.

- اكتب أي اسم من أسماء الأنبياء غير محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأمسك منذر قلما وورقة حتى يدون الأرقام، وجعل حائر يسرد النتائج، فقال: عيسى ٩ مرات، يوسف ٢٦ مرة، إبراهيم ٦٩، موسى ١٣٦، وبدت عليه علامات الذهول وهو يقرأ الأرقام.

-هل من الممكن أن أحدا يحب الظهور - كما قلت أنت - يذكر أسماء منافسيه أكثر منه؟ ويكون هو بهذا العدد القليل، فإنما يدل هذا على أن القرآن لا يطلب جاها شخصيا لأحد، وإنما يريد تثبيت الأفكار، وإن

---

([٧]) آل عمران -١٤٤
([٨]) الأحزاب -٤٠
([٩]) محمد -٢
([١٠]) الفتح -٢٩

عقدنا مقارنة بين القرآن وبين الكتب الأخرى، سواء المحرفة منها كالإنجيل، أو الموضوعة من أصلها كالأقدس عند البهائية، ستجد مثلا أن اسم يسوع ذكر في الإنجيل ما يقارب ٩٣٢مرة، ولو نظرت في الأقدس([١١]) على صغر حجمه، وركاكة لفظه، وضعف منهجه لا تجد اسما يذكر بعد اسم الله بصفته المخاطِب إلا اسم البهاء، حتى أن الله في زعمهم ينادى الناس بـــ(يا أهل البهاء)، "يا أهل البهاء، قد وجب على كل واحد منكم بأمر من الأمور"([١٢])، "ألا ترجع إلى أهل البهاء"([١٣])، "إنه من أهل البهاء"([١٤])، وهو بهذا يريد أن يخلد اسمه لأن كتابه باختصار كتاب شخصي، بل الإسلام يا حائر هو الدين الوحيد الذي لم يتسمَ باسم شخص.

وكان حائر مطأطئا رأسه فرفعها، ونظر إليه مستغربا، وعقد حاجبيه، ولم يتكلم. واستدرج منذر حديثه قائلا: اليهودية منسوبة إلى يهوذا بن يعقوب، والمسيحية إلى المسيح، والبوذية إلى بوذا، والبهائية إلى عبد البهاء، والقديانية إلى الغلام ميرزا أحمد القدياني، أما الإسلام فلم يُنسب إلى محمد، فنحن لم يسمنا النبي - صلى الله عليه وسلم - المحمديين بل المسلمين، (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ)([١٥])، والسؤال يا حائر، لو كانت هذه الأديان من عند الله لمَ يسميها بأسماء بشر من خلقه؟ ولو كان الإسلام من اختلاق محمد - صلى الله عليه وسلم - لمَ لمْ ينسبه إلى نفسه؟ بل أبعد من هذا مما يدل على أن محمدا لم يكن يبتغي بدعوته جاها شخصيا، ولا شرفا معنويا، - وإن كان الجاه والشرف متحققين له -، أنه كان يعارض أصحابه بشدة إذا صدر من أحدهم تبجيلا وتعظيما مبالغا فيه لشخصه الكريم - صلى الله عليه وسلم - سواء كان في الفعل أو القول، فيذهب معاذ بن جبل إلى الشام فيرى اليهود يسجدون لأحبارهم وعلمائهم، ويرى النصارى يسجدون

---

([١١]) هو الكتاب المقدس عند طائفة البهائية
([١٢]) الأقدس ٨
([١٣]) المصدر السابق ٢٨
([١٤]) المصدر السابق ٤٤
([١٥]) الحج ٧٨

لقسيسيهم ورهبانهم، فيقرر عندما يرجع إلى النبي أن يسجد تحية له، وبالفعل لما قابل النبي - صلى الله عليه وسلم - خر ساجدا له، فاستغرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال له "ما هذا يا معاذ" قال: إنها تحية الأنبياء. وأعلمه أنه رأى هذا في الشام، قال له النبي صلى الله عليه وسلم مجيبا إياه "كذبوا على أنبيائهم، ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد إلى زوجها"([١٦])، ونهى معاذا أن يفعل هذا مرة أخرى، وشدد عليه في ذلك معلما بذلك باقي الصحابة ومن ورائهم الأمة بأكملها أنه ما أراد جاها ولا فخرا من وراء دعوته، فأي سلطة تكون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الناس أكثر من أنهم يسجدون له؟ فلو أراد السلطة من دعوته لترك معاذا يفعل هذا، ولأمر باقي الصحابة أن يفعلوه، خصوصا أن هؤلاء قوم هان عليهم قريبا أن يسجدوا للصنم فللبشر أولى، ولكنه ما كان يريد هذا كله، إنما أراد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور.

خرجت آخر كلمة قالها منذر من فيه محاذية في الوقت لطرقات الباب، وكأن الطرقات والكلمات اتفقتا على ذلك، قام حائر ليفتح الباب فإذا هو "محمود" صديقهما، سلم على حائر، ثم جاء ليسلم علي منذر وكان جالسا، فسلم على محمود وهو على هيئته تلك، قال حائر معلقا "أليس من الواجب والأدب أن تقوم لتسلم عليه بدلا من أن تسلم جالسا"، قال حائر هذا الكلام وهو يحمل وغرًا في صدره علي منذر، وقد جعل من هذا الموقف ساحة للانتقام ليعوض هزيمته من منذر، وهنا رد محمود فقال: لقد نهانا نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم - أن نقوم لأحد عند دخوله علينا، فكما جاء في الحديث "لم يكن أحب إليهم – أي الصحابة – من رسول الله، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك"([١٧]) الترمذي.

- ولمَ نهى عن مثل هذا الفعل؟

منذر: لأنه لم يكن يحب الرئاسة والسلطة يا حائر.

---

([١٦]) الحاكم في مستدركه ٤/ ح ٧٣٢٤

([١٧]) سنن الترمذي ٢٧٥٤/٥ قال الألباني صحيح

قال محمود موجها الكلام إلى منذر: والموقف الأخر الذي نهى فيه الصحابة أن يصلوا وقوفا وهو جالس، فقال حائر: ولِمَ كان يصلى جالسا؟

منذر: لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان مجروحا في ساقه، سقط من على ظهر فرسه فجُرح، فاضطر أن يصلى جالسا فترة من الزمن.

"ما هي الحكاية؟ أكملوها" قالها حائر بشغف.

قال محمود: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى جالسا لأنه كان مجروحا، فجاء أصحابه حتى يقتدوا بصلاته، وصلوا وهم وقوف، فأشار إليهم أن اجلسوا فجلسوا، فلما انتهى من صلاته نظر إليهم وقال: إنكم كدتم أنفا لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا بأئمتكم هذا. إن صلى الإمام قائما فصلوا قياما، وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا. ([١٨])

- ألهذا الحد كان رسولكم لا يحب الرئاسة وحب الظهور والتسلط على الأخرين؟ قالها حائر باديا على وجهه الاستغراب مما سمع.

منذر: مع أنى أكاد أجزم أن مسألة التعظيم والإقامة على الملوك هذه ما خطرت على بال الصحابة في هذا الموقف، فإنه - صلى الله عليه وسلم - له عذر في الصلاة قاعدا وقد امتنعت عنهم الأعذار، ولكن هذه المسائل يُقدم فيها الاحتراز ويُتنازل فيها عن العبادات لأجل سلامة العقيدة، فكما أن صلاة الجنازة عندنا ليس فيها سجود حتى لا يُعتقد أن السجود هذا يقدم للميت، كذلك منع النبي صلى الله عليه وسلم من القيام خلفه سدا للذريعة وإبعادا لهفوات الشرك التي يتسارع إليها الناس عن إسراعهم للتوحيد.

قال محمود: صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله، ما أعظمك من معلم جئت لتعلم البشرية كلها فقه التحرر وعدم التملق للأشخاص، بل نجده - صلى الله عليه وسلم - شديد التعنيف لمن يرفعه عن مقام النبوة

---

([١٨]) صحيح مسلم ح ٤١١

إلى مقام الألوهية وإن كان بغير قصد، فيقول له رجل "ما شاء الله وشئت"، فيرد عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- قائلا "أجعلتنى والله عدلا بل قل ما شاء الله وحده"([19])، وهذا القائم بين يديه خطيبا فيقول في خطبته "ومن يطع الله ورسوله قد رشد، ومن يعصهما فقد غوى" فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "بئس خطيب القوم أنت"([20]) وهذا بسبب ما اقتضاه كلام الخطيب من إيهام مشاركة النبي لله والتسوية بينهما بسبب التشريك في الضمير، ولهذا أمثال أكثر مما ذكرنا، وأقول لك يا حائر: لو أراد النبي أي شيء من العرب لحققوا له ما تمنى، ولتسارعوا إليه، ولسجدوا له، ولقاموا عليه قيام الخدم على ملوكهم، ولأشركوه في المشيئة مع الله، ولو أراد منهم أن يعبدوه لفعل الكثير منهم، ولكنه رفض كل هذا ولم يفعله، فأي كذاب هذا الذي يأتيه ما ذكرناه ويرفضه؟ وتنكسر له أعناق الناس وينصبها؟ وتتوجه له أفئدة الكثير لعبادته وإلى ربه يوجهها؟ بل كلما رفعوا له نفسه أوضعها، فيقول لمن كان خائفا منه -وكان هذا يوم فتح مكة- كان حقا له أن يهاب، فبكلمة منه تقطع الرقاب إن أراد، لكنه لما رأى الرجل خائفا قال"هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد" ([21])

---

([19]) مسند أحمد ١٨٣٩/٣

([20]) صحيح مسلم ٨٦٩/٢

([21]) الحاكم في مستدركه ٣٧٣٣/٢، قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ٤٩٦، أما القديد فهو العيش.

درس السبت

كان الشيخ أبو يحيى ينهي صلاة العشاء كل سبت ثم يعطي أهل المسجد درسا في الفقه وشئون الصلاة والصيام، وفى يوم يُشبه باقي الأيام أعطى درسه، وكان الدرس يستقبل أسئلة الحضور في نهاية كل محاضرة، وكانت الأسئلة غالبا تدور في فلك الدرس ولا تخرج عنه، وتكون ورقية وليست شفهية، وأجاب الشيخ على الأسئلة ورقة بعد ورقة باستفاضة سائقا للأدلة، ولكن تعجب من سؤال معين، وتردد هل يطرحه على مسامع الجمع أم لا، وبعد تفكير غير كثير اختار أن يطرح سؤال الورقة على مسامع الجالسين، والسؤال كان: لمَ توجد في القرآن سورة (أبو لهب-المسد)؟ السؤال لم يكن عن سبب النزول بل عن سبب الوجود، ولذلك تعجب الشيخ، وظن في بداية الأمر أن السائل أخطأ التعبير، وكان هناك شيء في قلبه يقول له: لعل السائل يقصد أمرا غريبا. أراد أبو يحيى أن يعلم عين السائل فقال "من الذي أرسل هذه الورقة"، كانت نبرة الشيخ في غاية الرقة حتى يرسل رسالة طمأنينة للسائل ليشجعه على إظهار نفسه.

رفع شاب في أواخر العقد الثاني من عمره منمق المظهر يده معلنا عن نفسه.

أبو يحيى: ماذا تعني؟

- أتخوف أن أقول.

- لا تخف؛ فإننا جميعا نتعلم.

- يا شيخ، أليس في سورة (أبو لهب) ما يشير الى أن النبي. . توقف الشاب من جديد، وزاد عرقه، واحمر وجه، وهنا شجعه أبو يحيى تشجيعا شديدا حتى يكمل.

قال الشاب وكأنه يخرج أنفاسه الأخيرة مع الكلمات لعلمه بتبعات الموقف: قد سمعت البعض يقول إن سورة المسد - أستغفر الله العظيم على ما سأنقله - إنما هي تصفية حسابات بين محمد وعمه. هنا ضج

المسجد، واختلطت الأصوات، وكان ارتباك الشاب في ذروته، وتمنى لو انشقت الأرض وابتلعته خيرا له مما سيلقى، وما أنقذه إلا صوت أبى يحيى قائلا "يا جماعة أخونا العزيز عايز يعرف ويتعلم ومش جاي يعلن كفر ولا إلحاد ولو دا اللى في باله مكنش جه المسجد أرجوكم مش عايزين مقاطعات خلونى أجاوب عليه" والتفت الشيخ إلى الشاب، وعادت له نبراته الهادئة الرقيقة، وعلت ابتسامة جميلة على وجه قائلا "أوضح لنا أكثر".

- وجهة نظر تقول إن سورة المسد صراع شخصي. قصَد محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يسب عمه في القرآن، ودى وجهة نظر أنا بنقلها ومش أنا صاحبها. قالها الشاب بشجاعة مكتسبا إياها من كلام أبي يحيى السابق.

- هل انتهت وجهة النظر أم تحب أن تضيف شيئا؟ قالها أبو يحيى مبتسما.

- لا، قد انتهت وجهة النظر. قالها الشاب بنفس هادئ بعد ما أبدى ما في قلبه ونجى من الوقف بتفهم أبي يحيى له.

وجه الشيخ سؤالا للشاب قائلا "يا أخي، هل كان النبي له أعداء أخري غير أبى لهب أم لم يكن له عدو غير عمه؟"

- بل كان له أعداء كُثر.

- ولمَ ليس هناك سور بأسمائهم في القرآن؟

فهم الشاب بعضا من مراد الشيخ، وأكمل الأخير قائلا: إن سورة المسد لمِن مؤكدات نبوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فمع كثرة أعدائه -صلى الله عليه وسلم- لم يذكر القرآن أحدا باسمه غير أبى لهب عمه، وعمه من أقاربه الذين يسوءهم كفره، ويتألم له أكثر من غيره، ولك أن تعرف أن العلاقة بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبي لهب كانت علاقة طيبة قبل نزول الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم -، حتى أن أبا لهب أعتق ثويبة جاريته لما بشرته بميلاد

النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلم يكن أبو لهب -قبل ذلك- بالعم القاسي أو الجاحد على ابن أخيه، ولَنزول سورة المسد في بداية الاختلاف بينهما وقبل اتساع الفجوة بمثابة الحكم على أبي لهب وزوجته أكثر منه قدحا فيهما، وكما قلت لك لم يكن أبو لهب بالعدو الأوحد لمحمد - صلى الله عليه وسلم -، بل هناك من كانوا يعادون النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أبى لهب وعلى أقل تقدير في نفس درجته، ولم يذكر القرآن غير أبي لهب، وكأن القرآن يقول إن الكافر من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم لأشد جرما من غيره، فليس هناك واسطة في الإسلام، فلمَ لمْ توجد سورة باسم أبى جهل؟ ذلك الرجل الذي صدرت منه جهالات كثيرة ضد النبي، وكان محرضا عليه، حتى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلى يوما عند الكعبة، فقال أبو جهل لبعض القوم "أيكم يأتي بسلى جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد وهو ساجد"، لمَ ليست هناك سورة باسم عقبة بن أبى معيط الذي قام وأتى بسلى الجزور ووضعه على ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟([٢٢]) والذى كاد في بعض المرات أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ([٢٣])، لمَ ليس هناك سورة أمية بن خلف أو أبي بن خلف؟ ذلك الرجل الوحيد الذي قتله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، تعجب الشاب من هذه المعلومة الجديدة على سمعه، وقال: هل تعرف يا شيخ؟ لقد طرحت هذا السؤال مرارا في نفسي، هل قتل النبي أحدا أم لا؟

قال الشيخ: على كثرة أعدائه، وفرط قوته، وضخامة شجاعته، لم يقتل إلا أُبي بن خلف، وأبي كان من أكثر الناس إيذاء للرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان يلقى النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقول له "يا محمد، سأقتلك يوما ما"، فيقول له النبي "بل أنا أفعل إن شاء الله"، وجاء يوم أحد، وانصرف أكثر الناس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وظن أبي بن خلف أن الفرصة قد حانت له، أمسك

([٢٢]) متفق عليه البخاري ٢٤٠/١ومسلم ١٧٩٤
([٢٣]) البخاري ٣٦٧٨/٥

سيفه، وتقدم نحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فرسه، وعرض بعض الصحابة أن يتولوا أمر أبي بن خلف، لكن النبي رفض وقال "ناولوني الحربة"، وقام بقذفها على أبي، ولم تقتله لكنها طرحته أرضا، وخدشته خدشا خفيفا في رقبته، ولما رجع أبي إلى مكة احتقن الدماء في رقبته وكان يقول "قتلني محمد"، فكان الناس يعتقدون أنه يبالغ لأن جرحه بسيط ويقولون له ذلك، فيرد عليهم قائلا "قال لي إنه قاتلي يوما، فوالله لو بصق علي لقتلني"([٢٤])

التفت الشيخ أبو يحيى إلى الناس قائلا: إخواني، من منكم يستطيع أن يقول لمَ لمْ يقتل النبي غير أبى بن خلف؟

لم يجب أحد، فقال لهم: أنا أُريحكم من العناء، هذا لأن أشد الناس عذابا رجل قتل نبيا أو قتله نبي([٢٥])، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - بعث رحمة للعالمين، فلم يرد أبدا - وإن قُتل البعض على الكفر - أن يضاعف لهم العذاب فوق العذاب وأن يكونوا أشد الناس عذابا، وهذا دليل على نبوته - صلى الله عليه وسلم -، لكن دعونا نرجع الى مسألتنا الأصلية لمَ ليس هناك سورة باسم أبي بن خلف أو غيره من أعدائه الكُثر؟ بل لمَ ليس هناك سورة باسم عبد الله بن أبي بن سلول؟ ذلك الرجل الذي قدح في عرض رسول الله، وأشاع على أم المؤمنين عائشة أنها ارتكبت الفاحشة([٢٦])، نعم كل من ذَكرتُ القران يشير إلى مواقفهم، ولكن من غير ذكر لأسمائهم، ونعرف أسماءهم من خلال أقوال الصحابة وروايات التفسير، وهذا إنما يدلل على أن القران لا يهتم بالشخص بقدر اهتمامه بالفكرة، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر الناس شجاعة وإقبالا في الصراع الديني لأجل التوحيد ونشر العقيدة السليمة، أما إذا كان الصراع شخصيا يُفضل الخمول والإحجام.

---

([٢٤]) أثر قصة مقتل أبي بن خلف في المستدرك ٣٢٧/٢

([٢٥]) مسند أحمد ٦/ ٣٨٦٨

([٢٦]) البخاري ٢٦٦١/٣

ثم وجه الشيخ سؤالا للناس وقال: من يستطيع أن يأتي لنا بمثال من السنة يدلل على ما أقول؟

قال رجل: موقف النبي مع أبى سفيان في غزوة أحد، وبعد انتهاء المعركة وإثخان الجراح في المسلمين، قال أبو سفيان متشفيا "أفي القوم محمد؟ أفي القوم أبو بكر؟ أفي القوم عمر؟" وكل هذا والنبي ينهى أحدا عن إجابته، وهذا لأن الأمر يتعلق بأشخاص، وعندما قال "اعلُ هبل" قال لهم النبي غاضبا "ألا تجيبونه؟" قالوا "وما نقول؟" قال "قولوا: الله أعلى وأجل" وهذا لأن الأمر خرج من نطاق الصراع الشخصي إلى نطاق الدين والعقيدة ([٢٧]).

نظر الشيخ إلى الشاب صاحب السؤال وقال له: هل شفيُ غليلك الآن؟ وأجاب الشاب بالإثبات.

كان سؤال الشاب مثيرا ولكن إجابة الشيخ كانت مقنعة ومؤثرة، وخرج الشاب، وقام الناس بعد انتهاء الدرس - الذي طال عن عادته - إلى الشيخ مسلمين عليه داعين له بالبركة، وتقدم له رجل في أواسط الخمسينات من عمره، قصير القامة، يبدو عليه علامات الثراء، سلم عليه بحرارة شديدة طالبا منه رقم هاتفه، لم يتردد الشيخ أبو يحيى في إعطائه رقم الهاتف، فهو يألف على مثل هذا الطلب من الناس الذين يستفتونه في أمور دينهم.

رجع الشيخ أبو يحيى إلى بيته بعد يوم مرهق من العمل وطلب العلم والدعوة في ساعة متأخرة من الليل، ووجد "هادية" زوجته نائمة، لم يشأ أن يقطع منامها، قرر أن يحضر العَشاء لنفسه، ثم قام بعد تناول العشاء ليتعشى عشاء الروح فيقوم بين يدي الله مصليا، وما إن كبر تكبيرة الإحرام إلا أن سمع ضجيج صوت أستاذ "محمود" وزوجته "إلهام".

---

([٢٧]) البخاري ٣٠٣٩/٤

المال

استيقظ حائر مبكرا عن عادته حتى يذهب إلى المشفى ليزور أمه المريضة قبل أن يذهب إلى عمله، وعند دقات الساعة السابعة صباحا كان ملقى على صدرها محتضنا إياها، وهو يصارع دموعه التي تحاول النزول على خده صراعا مريرا، وبعد أن أنهكه الصراع اتفق مع دموعه أن يتنازل كل طرف منهما للأخر، وتصالحا أن لا تنزل دموعه مقابل أن يسمح لها بالبقاء في عينيه، مررت أمه يديها على شعره وقالت بصوت خافت "يا بني، ما الذي أتى بك في هذا الوقت المبكر؟"، ولم تكن الكلمات واضحة تماما لضعف صوتها ولكن حائر فهم ما قالته، وأجابها بصوت متماسك في بعض جوانبه الأسى "كيف أذهب إلى عملي من غير أن أطمئن عليكِ؟!"

كان هذا الحوار البسيط هو المسموح به من الأطباء الذين أكدوا على حائر عدم إطالة الكلام مع أمه حتى لا يصيبها الإجهاد وهي من الأصل في ذروته.

خرج حائر من غرفة أمه وقابل الطبيب المختص بحالتها حتى يطمئن عليها، قال الطبيب "صمامات القلب فاشلة تماما، ويجب الإسراع بإجراء عملية جراحية" وهذا الكلام يسمعه حائر من الطبيب منذ عدة أيام، ولكنه يتباطأ في إجراءات العملية لأن تكاليفها باهظة، والمبلغ غير متوفر معه. وغادر حائر المشفى هائما على وجهه، لا يعلم كيف يمشى، حتى وصل إلى مكان عمله في المطار، كان حائر أحد موظفي المطار المعروفين بنزاهته وأياديه البيضاء، وكم عرضت عليه رشاوى وأموال طائلة في مقابل تمرير بعض البضاعة المشبوهة وغض الطرف عنها لكنه أبى ذلك، وكان آخر هذه العروض من "أيمن النجعاوي" تاجر الآثار الذي أراد أن يُهرب بعضا منها عن طريق المطار، وراود حائرا مراودة خفية في هذا الأمر ولكن حائرا قابل هذا العرض الخفي بالرفض التام.

قفز "أيمن النجعاوي" في تفكير حائر بغير استئذان، إذن هو الحل، وقرر أن يتنازل عن مبادئه في سبيل إنقاذ أمه، سيفعل أي شيء حتى وإن قبل الرشوة.

استدار حائر وذهب إلى مكتب "أيمن النجعاوي" وطلب مقابلته من سكرتيرته، ولما علم "النجعاوي" أن حائرا بالباب طار فرحا وأسرع لكي يقابله بنفسه، وما أن لقيه إلا وسلم عليه بحرارة الملهوف، واكتنفه تحت يديه، ودخلا المكتب سويا.

شعر "النجعاوي" أن خيرا ما وراء زيارة حائر له، فليس هناك بينهما أي علاقة غير موضوع العرض الحرام، وبالفعل قبل أن يكمل النجعاوي تفكيره قال له حائر "أنا موافق على عرضك"

- أي عرض تقصد؟

- أيمن باشا، أنا معنديش وقت للمقدمات، أنا قابل إنك تدخل البضاعة مقابل مبلغ من المال، وأنا عايز حاجة تحت الحساب الان.

-أحب أنا اختصار الوقت جدا، تحب ١٠٠ ألف دلوقتي والباقي لما نخلص العملية.

-كويس جدا.

-أنا عندي اجتماع الآن، وإلى حين انتهائك من القهوة سيكون المال بين يديك.

خرج النجعاوي، وترك حائرا يتنفس تنفس الصعداء مرتاح الضمير، فهو يرى أن ما فعله ضروري لبقاء أمه على قيد الحياة، وأن الفراعنة أنفسهم ليس عندهم مانع في تهريبهم إن كان في مقابل حياة أم حائر، وأن الشعب المصري عن بكرة أبيه مؤيد لما يفعله حائر وأن. . . . . قاطع الهاتف الشخصي لحائر تفكيره معلنا أن ثم متصلا، أخرج حائر الهاتف ورد بصوت مضطرب. . . . ألو

- أستاذ حائر.

- نعم، من؟

- نحن مشفى الزهور. البقاء لله في والدتك، نرجو الحضور سريعا لإنهاء الإجراءات.

(بعد ثلاثة أيام)

قام منذر بزيارة حائر للمرة الثالثة من بعد موت أمه، ودخل عليه غرفته فوجده في حالة متوسطة من الحزن، ثم ابتدأ كلامه مواسيا كعادة المعزين، مستخدما ألفاظ التخفيف وجمل الصبر، وكان حائر قد حكى له قصة "النجعاوي" منذ اليوم التالي لموت أمه، وكيف أنه كان على بعد دقائق من ضياع مبادئه وانهياره انهيارا أخلاقيا.

قال حائر: أتعرف يا منذر، أنا كنت مخطئا تماما في كون محمد ادعى النبوة لأجل الشهرة والسطوة، بالفعل لا يمكن أن يكون أراد فخرا ولا شرفا.

- رائع يا حائر أنك تفكر بهذه الطريقة الجميلة وأنك اعترفت أنك كنت على خطأ، لعل الله يريك طريق الحق.

نظر حائر وتبسم بسمة السخرية وقال: بالطبع محمد لم يكن يريد الجاه، إنما أراد المال.

فوجئ منذر بما قال، وكان يعتقد أنه بدء طريق الهداية وتصديق رسول - الله صلى الله عليه وسلم -، ولكنه كان يبحث عن مخرج آخر يريح ضميره من جهة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -، إذ فشل في الطريق الأول.

- وكيف توصلت إلى هذا يا عبقري زمانه؟

- قال المال هو مطمع الناس، يتمنى الفقير لو لقيه، ويتمنى الغني لو يزيد غناه، يتألم المعدوم لكي يجده، ويشقى المليء بوجدانه، وإن كان حب الجاه أقرب إلى القلوب،

ولكن الرياسة والمنصب لا تصلح لكل أحد؛ فقد يصلح الشخص للرياسة وقد لا يكون أهلا لها، أما المال فإنه يُصلح أحوال العباد، ولا يُشترط فيه خصوبة ما يلاقيه، فوظيفته أن يُنبت في الأرض الجرداء،

فليس له شروط لاستقباله، غير أن الجاه لا يَصلح بغير مال، أما المال فإنه يصنع المنصب والجاه، فلذلك قد يفعل الإنسان كل شيء لكي يصل إليه، فإنه فتنة عظيمة، فأنا مثلا في بعض المواقف كنت سأقبل المال وأخالف مبادئي، فلمَ لم يكن رسولكم ادعى النبوة لأجل المال؟ وعندنا في التاريخ كذابون ادعوا النبوة لأجل المال، وأنا وأنت متفقون على كذبهم.

- مثل من؟

- مثل الغلام مرزا أحمد القدياني، ذلك الرجل الباكستاني الذي ادعى النبوة لكي يصبح غنيا، فقد كان الفقر يؤرق مضجعه، واعتبر النبوة وظيفة إضافية يَجني بها بعضا من المال، وقد كانت الحكومة البريطانية تمده بالمال والمعونة، وقد كان قبل ذلك موظفا مسكينا يتقاضى خمسة جنيهات في الشهر، وبعد أن عمل في وظيفة النبوة هذه أصبح له قصور وعربات فخمة، بل كانت النذور والضرائب التي يسعى في الحصول عليها من أتباعه يأكلها أكلا لما([٢٨])، وقد يكون محمد ادعى النبوة حتى ينال المال، وقد كان محمد فقيرا معدوما يرعى الغنم، وكان في أشد الاحتياج إلى المال.

- كم أنت مسكين، تتبع كل ناعق فيما يقول، وما قلته مغلوط؛ لأن أساس بنيان تفكيرك من طين، فكيف يستقيم البنيان إن كان الأساس من طين؟!!

- وكيف هذا؟

- من قال لك أصلا أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان فقيرا؟

"كل الناس تعلم أنه كان يتيما فقيرا" قالها حائر بصوت عال وهو يشوح بيديه.

-ليس معنى أن صوتك عال أنك على حق، وتشويحك لي بيديك لم يرهبني، ولن يجعلني أتراجع عن موقفي الصحيح.

---

([٢٨]) انظر القديانية لإحسان إلاهى ظهير صفحة ٤٠، ٤١، ٤٧

-أنا آسف. لم أقصد، ولكن أنت تأتى بما لم يأت به الأولون.

- بل إنه قول الجميع، نعم النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في صغره فقيرا لأنه فقد أباه وأمه، وضمه عمه أبوطالب - وهو شقيق أبيه - إلى أبنائه، وكان عمه ضيق الحال.

- إذن، أنا كلامي صحيح.

- أنا لم أنته من كلامي، والنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يمت صبيا حتى يكون حكمي عليه بالغنى أو الفقر قد انتهى لأنى قلت لك أنه كان في صغره فقيرا، ومعنى كلامي أن حاله تغير بعد ذلك.

- تقصد أنه اكتسب مالا بعد ذلك؟

-نعم، في شبابه وقبل أن يتنزل عليه الوحي، فإن خديجة بنت خويلد سمعت عن أمانة هذا الشاب الذي يدعى محمدا - صلى الله عليه وسلم -، ولذلك قررت أن يكون عاملها على تجارتها إلى الشام، وخديجة من أغنى نساء قريش، وكانت تزوجت برجلين قبل ذلك من أغنى رجال العرب واكتسبت المال الكثير، وبالفعل خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - على تجارتها واتجر لها فيها، وتضاعف مال خديجة؛ وهذا جعلها تفضى عليه بالأموال لتضمن بقاءه معها وعلى تجارتها، وهذا أكسبه مالا كثيرا، والدليل على ذلك أنه لما تزوج محمد - صلى الله عليه وسلم - من خديجة أمهرها عشرين إبلا – عشرين بكرة([٢٩])، واذا عقدنا عملية حسابية بسيطة لنعرف كم يبلغ هذا المهر بمقدار اليوم لوجدناه ما يعادل ٣٠٠ ألف جنيه، إذا كان سعر الناقة الواحدة ١٥ ألفا، وهذا ليس بمهر الفقير، ثم إن محمدا - صلى الله عليه وسلم - بعد أن تزوج خديجة ازداد مالا فوق ماله، وإن كان اكتسب محمد - صلى الله عليه وسلم- من عمله في مال خديجة ثلاثمائة ألف فكيف يكون حجم مالها؟!!

([٢٩]) انظر سيرة ابن هشام ١٩٠/١، والبكرة الفتي من الإبل

- ولو، فما المانع من أن يكون محمد أراد الزيادة في ماله، فإن المال لا يشبع منه، أليس هو القائل " لو كان لابن آدم واد من مال لتمنى ثانيا "[٣٠]

- إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم المال لأجل الدعوة ولم ينتفع من الدعوة بمال، فإن أحواله الاقتصادية ساءت بعد نزول الوحي عليه، حتى إن زوجته ذات المال التي تكلمنا عنها ماتت من شدة الجوع في شعب أبى طالب، وظلت معه ثلاث سنوات يطعمون ورق الشجر([٣١])، فأي مال جناه محمد صلى الله عليه وسلم من دعوته؟! فإنه لم يجن غير الجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات في الفترة الأولى من الدعوى، وظل صابرا على هذا، ولا يصبر على الجوع من يكون مبتغاه المال، وإن كان مراده المال فقد أتاه، نعم أتاه مع عتبة بن ربيعة أحد سادات قريش وهو سفيرهم إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - يفاوضه لعله يترك دعوته فقال له عتبة "إن كان بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلا" فما كان جواب النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه إلا بآيات تلاها عليه من صدر سورة فصلت إلى أن وصل إلى قوله (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ)-([٣٢])، لاحظ يا حائر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يعتن أبدا بالرد على عتبة في هذه الجزئية التي طرحها؛ لأنها أقل من أن يفكر النبي فيها ويتكلف الرد عليها.

-إن محمدا لم يقبل العرض من عتبة لأن محمدا كان ذكيا، وكان يعلم أن عتبة يراوغه وأنه يقصد بهذه العروض أن يكشفه أمام أتباعه وأنه إن قبل العرض منه أظهر لأتباعه أنه يسعى للمال فينفضوا عنه، فقابل محمد تدبيره بتدبير.

---

([٣٠]) البخاري ٦٤٣٦/٨

([٣١]) البداية والنهاية لابن كثير ١٠٥/٣

([٣٢]) السيرة لابن إسحاق ٦٨/١

- مع أن هذا التفكير بعيد؛ لأن من كان همه المال لا يهمه رأي الناس فيه، وقد كان في إمكان محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل الاتفاق سريا حتى يتسلم المال من عتبة ثم يعلن توقفه عن الدعوى، وضع أيضا في الاعتبار أن العرب كانوا لا يقبلون على أنفسهم الكذب ويوفون بالعهد مهما كان الثمن، فالمال مضمون، ومع هذا كله سأقبل كلامك تنازلا وأقول دعك من موقف عتبة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فما كانت هذه المرة الوحيدة التي يُعرض فيها المال على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويرفض، بل لا يأبه بالكلام من أساسه، فهناك موقف آخر يُعرض فيه المال على رسول الله، ولكن هذه المرة ليس في مكة وهو ضعيف بل في المدينة وهو في أوج قوته، وليس من عتبة الذي يمثل الأغلبية في قريش بل من ثمامة بن أثال الذي أسره أصحاب النبي في الطريق، والإسلام أباح أخذ الفدية من الأسير في مقابل إطلاقه من الوثاق، ولكن لما جيء به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر به أن يربط في عمود المسجد، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يمر على ثمامة كل يوم لمدة ثلاثة أيام، ويقول له: ما الذي عندك يا ثمامة؟ وفي كل مرة يقول ثمامة "يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن ترد مالا أعطيناك منه الكثير" وفي كل مرة يبتسم النبي - صلى الله عليه وسلم - ويمضي بغير رد على ثمامة، حتى جاء في اليوم الثالث وأطلق وثاقه بغير أن يأخذ منه درهما واحد، ورجع ثمامة إلى النبي يعلن إسلامه متأثرا بخلقه الرائع([٣٣]).

ولو كان هدف النبي - صلى الله عليه وسلم - المال يا حائر لقبله من ثمامة وما من معاتبة عليه أن يقبل المال منه كما في موقفه من وجهة نظرك مع عتبة بن ربيعة. بل حتى في فتح مكة لما دانت له رقاب من كانت سيوفهم مسلولة على المسلمين تركهم بغير أن يأخذ منهم مالا، بل إنه أعطى البعض منهم كثيرا من المال حتى يتألف به قلوبهم ([٣٤]).

---

([٣٣]) البخاري ٤٣٧٢/٥

([٣٤]) أثر صحيح مسلم ١٠٥٩، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم.

بل إذا تفحصنا حال رسول الله لوجدناه لا يحب المال حبا جما، ويتعجب ممن يحرص على المال، ففي بعض أيامه - صلى الله عليه وسلم - يأتيه مال من البحرين - وهو أكثر مال أتى إليه - فيأمر بنثره في المسجد، ولم يلتفت إليه حتى انتهى من الصلاة، فلما انفلت من صلاته جلس إلى المال ولم يمر به أحد إلا وأعطاه من ذلك المال، حتى جاء العباس وقال "يا رسول الله - صلى الله عليك وسلم - أعطني من ذلك المال فإني قد فاديت نفسى وعقيلا" وكان العباس مأسورا هو وابن أخيه عقيل ابن أبي طالب في غزوة بدر وفك نفسه وعقيلا من الأسر بمال، وأراد أن يعوض خسارته بالمال بعد إسلامه، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - "خذ"، فجعل العباس يحثو المال في ثوبه حتى إذا ذهب يقله على كتفه لم يستطع من كثرته فقال "يا رسول الله، مر أحدا يحمله علي" قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - "لا"، قال "فاحمله أنت علي"، قال "لا"، فجعل العباس ينفض كثيرا من المال حتى استطاع أن يحمله على كتفه، ثم خرج من المسجد ورسول الله يتبعه بصره عجبا من حرصه على المال([٣٥]). أي رجل هذا يا حائر يكذب على الله لأجل المال لما يأتيه لا يلتفت اليه ويذهب يصلى؟! بل يقول انثروه في المسجد وكأنه تراب، ويتعجب من العباس من حرصه على شيء جميعنا نفوسنا تتتوق اليه، بل إن هذا كان دعاء النبي الملازم له "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا"([٣٦])

- يعنى ايه اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا؟

- يعنى ببساطة شديدة خالص النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب من الله أن يكون رزقه اليوم بيومه، مش عايز يدخر مالا، ويكون ماله على قدر احتياجه ليس أكثر من ذلك، ولذلك كانت حياته - صلى الله عليه وسلم - تعتبر تضييقا على الصالحات، لا تستطيع أن تتحملها النساء ولو كن أمهات المؤمنين -رضى الله عنهم-، فأي بيت هذا الذي يعيش ثلاثة أشهر على الماء والتمر؟! هو بيت النبي. أي بيت هذا

---

([٣٥]) البخاري ٤٢١/١

([٣٦]) متفق عليه البخاري ٦٤٦٠/٨، مسلم ١٠٥٤/٢

الذي هو خال من كل أنواع التفكه؟! فكان إذا دخل أحد بيوته ووجد عسلا أو لبنا يسأل: من الذي أرسل هذا؟ وهذا السؤال يدلل أن الأصل في بيوته أنها خالية من أنواع التفكه، حتى أنه كان يمر على زوجاته كل واحدة في حجرتها كل يوم بعد صلاة العصر لينظر شئونهن، وفى بعض الأيام كان يحتبس عند زينب أكثر مما يحتبس عند غيرها، فسألت عائشة عن سبب التطويل عند زينب دون غيرها، فعلمت أن جارة زينب أرسلت لها عسلا فهي تسقى منه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. كانت النتيجة من هذا التضييق - إن صح القول - أنهن أبدين اعتراضهن على المصروف الشهري، وأردن من رسول الله أن يزيدهن في النفقة، واتحدن عليه في هذا الأمر، وكانت ردة فعله أنه هجرهن شهرا، وخيرهن بين البقاء على هذه الحال - لمن رضيت منهن - وبين الرحيل، وينزل فورا قول الله تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عظيما**)([٣٧])

ولما نزل التخيير بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم – بعائشة؛ فهي أحب زوجاته إلى قلبه وإنَّ فراقها يؤلمه أكثر من فراق غيرها؛ ولذلك قال لها "إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن تتعجلي حتى تستأمري أبويك"، تقول عائشة مبينة سبب أن النبي أمرها ألا تجيبه حتى تسترجع أبويها "وقد علم أنَّ أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه" وفي بعض أحداث القصة يدخل أبو بكر وعمر على رسول الله وابنتهما عائشة وحفصة عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكل منها يقول لابنته: أتسألان رسول الله ما ليس عنده؟!([٣٨]). وأعتقد يا حائر أن سوء الظن مهما بلغ منك مبلغه لابد أن يتوارى عنك الأن.

---

([٣٧]) الأحزاب ٢٨-٢٩

([٣٨]) انظر الصحيح المسند لأسباب النزول فقد جمع أحاديث القصة صفحة ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥

التقم حائر هذا الكلام وهو شارد الذهن، تتحرك عيناه في اتجاهات عكسية تعكس حالة التشتت الفكري الذي وصل إليه وحجم الصراع الداخلي بين ما يسمعه وبين ما يعتقده.

تركه منذر في صراعه واستأنف قائلا: ما الذي يحمل رجلا يملك زمام الوحي - كما تعتقد أنت - يؤلف ويخترع ما يريد ويتلوا على الناس باسم الله ما يوافق هواه أن يعيش هذه الحياة المضنية؟ ما الذي يجعل الأمر يصل إلى حد مفارقته لأحب الناس إليه؟ وأنت تراه يترقب ردة فعلها ويأمرها بعدم التسرع لعلها تختار المفارقة حتى تراجع من هو على يقين أنهما في صفه، أليس أسهل من هذا أن ينزل بعضا من الآيات تأمر المسلمين أن لا يجعلوا بيوت النبي خالية من ألوان الطعام والحلي لنسائه؟ ألم تكن بعض من هذه الآيات تحل الموقف مع نسائه؟ وإنما لم يفعل ذلك لأنه ليس له ذلك، ولأنه رسول الله حقا "**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**"([٣٩]).

وبعد أن كاد حائر يقتنع بما قال منذر عاد مرة أخرى يغلبه شيطانه ونُكس على رأسه، وإذ بحائر تبرق عيناه ويضرب كفه بالأخرى ويقفز قفزة المنتصر -كما يعتقد-ويقول: قد وقعت أخيرا يا صديقي، أنت الذي حكمت على نفسك، وأنت الذي وضعت القاعدة، فإن ما قلته قد حدث بالفعل، فإن في القرآن آيات تأمر المسلمين بأن يضعوا بعضا من أموالهم في الحساب الشخصي لمحمد، ويجعله هو المتصرف فيها، أليس من حقه الخمس من أموال الجهاد؟ أليس من حقه أن يأخذ ذلك المال؟ أليس الخمس آية في القرآن؟ "**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**"([٤٠])، ألم يكن لمحمد بلدة كاملة من نصيبه؟ وهي "فدك"، ألم يكن هذا كله انتفاعا بالمال من وراء الدعوة. ثم استدار وأعطى منذرا ظهره لكي يحرك حبات السكر في فنجان الشاي، ثم قال بهدوء وهو يبتسم ابتسامة ماكرة: لا أعتقد أنك ستجد مخرجا الآن

---

([٣٩]) النجم ٣
([٤٠]) الفرقان ٤١

يا صديقي، ولا أعتقد أن لباقتك في الحديث واطلاعك على القرآن والسنة سيرميان لك طوق النجاة هذه المرة.

كان على وجه منذر تعبيرات الاستهانة بما قال حائر، وإن كان يشعر من داخله بأنه مستفز بأقواله الأخيرة، فأكثر ما يستفز الإنسان أن يجد أمامه شخصا يعتقد أنه انتصر وأنه على شيء وهو ليس على شيء وأن ما يسمعه من حقائق يذهب هباء منثورا، فجدالك مع من يتخلى عن المنطق في الحديث أشبه بإعطاء الدواء لجثة كما قال. . . .

قال منذر: ألم أقل لك قبل ذلك ألا تبني بنيانا على أساس من طين. إن ما قلته خطأ فادح.

- أي خطأ قلت؟ ألم يكن محمد يأخذ الخمس؟

- نعم، ولكن ليس الخطأ في نقلك، إنما الخطأ في تعريفك الخمس و"فدك" بأنهما أموال للمسلمين، وهذا مخالف للواقع، بل هذه الأموال أموال الجهاد التي كان يخوضها المسلمون وعلى رأسهم محمد - صلى الله عليه وسلم -، "فدك" هذه أخذها من يهود خيبر الذين خانوا المسلمين في غزوة الأحزاب فكان العقاب هو غزوهم، وكان من الطبيعي لو كان للجنود حظ من الغنيمة أن يأخذ القائد من الغنيمة، أليس القائد محاربا في ساحة القتال؟ أليس له نصيب من الانتصار؟ وهذا معمول به إلى الآن، إن كان القائد منتصرا فإنه يشارك الجند في الغنيمة، أم أنه في وقت الأزمات يدعى وفى وقت توزيع الغنائم ينسى؟ ثم إن الخمس الذي كان النبي يأخذه كان في مقابل أنه حُرم عليه وعلى أهل بيته الصدقة حتى وإن كان ضرورة للمال، فقد أباح الإسلام للناس أن يأخذوا من الصدقة إن كانوا في احتياج إلى ذلك وحرم هذا على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى أهل بيته، حتى إنه لا يسامح طفلا صغيرا من أهل بيته - وهو الحسن ابن على - في أكل تمرة يشتهيها إن كان الظن فيها أنها من الصدقة فيقول له وهو واضع التمرة في فمه قبل أن يبتلعها "كخ كخ، ألم تعلم أن آل محمد

حرم عليم الصدقة؟"([41])، ثم ما الذي كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يفعله بالخمس، إنما كان يصرفه في منافع المسلمين العامة، لأنه في الحرب الغنيمة توزع أكثرها على المنافع الشخصية، فيأخذ كل محارب منها، أما الخمس فإنما يصرف في المنافع العامة للمسلمين، فلم نسمع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى لعائشة أو إحدى زوجاته بحلي عظيم من مال الخمس، أو أسكنهن في قصور بدلا من الحجرات الضيقة من خراج "فدك"، بل لو كان الأمر كما قلت لترك ماله هذا الذي ذكرته من بعده لورثته.

"أتقصد أن ماله لم يأخذه أهله من بعده؟" قال حائر مستغربا.

-نعم، وهذا أمر معلوم عند المسلمين.

-وما الذي منعهم أن يأخذوه؟

- رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي منعهم بناء على أمر الشرع له، فقال بقول صريح ليس فيه مجادلة "نحن - معاشر الأنبياء - لا نورث، ما تركناه صدقة"([42]) ما الذي يجعل رجلا يحرم ورثته من ماله، وإن أحدنا إذا علم باقتراب أجله أول ما يفكر فيه ألا يضيع حق أهله من ماله وأن يعرف أولاده المال الذي لهم ويدلهم عليه، ولكن محمدا - صلى الله عليه وسلم - إنما منع أحب الناس إليه من أن ينتفعوا بالمال لا زوجة ولا ولد، وهذا لأن ميراثه العلم وليس المال - كما قال -، وأنه لا ينبغي له ذلك، وإن عمر بن الحارث يلخص ما قلته لك بقوله "ما ترك النبي عند موته درهما، ولا دينارا، ولا عبدا، ولا شيئا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضا جعلها صدقة"([43]).

نعم يا حائر، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد الله له أن يكون له مال كثير قبل موته وأهلكه في الصدقة كما يدل قول عمرو، وحتى يُكتب من المتصدقين، ويترك هذا الباب من غير أن يطرقه، أتقول

---

([41]) متفق عليه البخاري١٤٩٢/٢، مسلم ١٠٦٩/٢

([42]) مسلم ١٧٥٧/٣

([43]) البخاري ٤/ ٢٨٧٣

حتى الأن يا حائر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد برسالته المال وأنه ادعى النبوة لأجل المال؟

-لا أخفيك سرا أن ما قلته مقنع وأنه مصادم لأفكاري، ولكن نفسي لا تطيب إلى الآن، ما زالت هناك أسئلة كثيرة في جعبتي وتشككات كثيرة في قلبي، والأمر أكبر مما تظن، وإن كنت انتصرت في هذه الجولة لكن أعتقد أنك لن تنتصر الجولة القادمة، أنا متأكد من ذلك.

-الأمر ليس انتصارا أو هزيمة أو إثباتا لرأيي مهما كان خطأً، وإن كنت أنت تأخذها بهذه النية فلن تصل أبدا إلى الحق، وإن لم أوفق يوما في إقناعك فليس معنى ذلك أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - ليس مقنعا، قد أكون أنا محاميا فاشلا لا أحسن الدفاع ولا الإقناع، ابحث أنت يا حائر فإن الأمر جنة أو نار، وأسأل الله لي ولك الهداية، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

لم يزد حائر عن كلمة واحدة في الرد على ما قاله منذر، "آمين"

المناظرة

كان الشيخ أبو يحيى يسير في بعض طرق شوارع مدينة نصر بسيارته عندما رن هاتفه، رد الشيخ مبتدئا كلامه بالسلام كما هي عادته، وجاء الصوت من الناحية الأخرى فيه شيء من البهجة - وكأنها انطبعت على صوته لأجل أنه يكلم الشيخ – قائلا "كيف الحال يا مولانا؟ ".

- في فضل ونعمة من الله.

- أنا ذلك الرجل الذي قابلتك الأسبوع الماضي بعد درس العشاء الذي كنت تتكلم فيه عن سورة المسد وأخذت منك رقم هاتفك.

لم يكن أبو يحيى على تذكر تام بالموقف، فإنه يحدث معه كثيرا، ولم يشأ أن يقع في الكذب وأن يحرج الرجل؛ ولذلك حاد عن الإجابة بنفي التذكر أو إثباته قائلا "تحت أمرك"

- أنا صبحي المهدي صاحب قناة الفضيلة.

- أهلا وسهلا، قناة الفضيلة اسم على مسمى، وهي تنشر الإسلام بقيمه الصحيحة وبأسلوب وسطي معتدل بلا إفراط أو تفريط.

- جزاك الله خيرا يا شيخ، هل تعرف يا شيخ رجلا يسمى "منير زكريا"؟

- أهو رجل يصلي معنا في المسجد؟

صدرت ضحكة من صبحي لم يفهم أبو يحي معناها، وانتظر قليلا لعله يستوعب المعنى وراء ضحكاته حتى يفهم المعنى، كان حينئذ يصف عربته بجانب الرصيف تحت بيته.

- منير زكريا هذا رجل يعيش الآن في الولايات المتحدة، وهو ممنوع من دخول مصر لأنه يقدح في الإسلام، تموله بعض الجماعات المعادية للإسلام على قناة تسمى قناة الحق، وليس له هم ليلا أو نهارا إلا الطعن في النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-وتأثر به شباب كثير لجهلهم بدينهم، وهو صاحب الكلام عن سورة المسد الذي نقله لك ذلك الشاب.

- اه أنا الآن تذكرت الرجل، ولكن ما المطلوب منى؟

"صبحي": منير زكريا في أكثر من لقاء على قناته طلب بعقد مناظرة بينه وبين أحد علماء الإسلام، ولكن البعض امتنع حتى لا يعطى له أهميته، والبعض يريد أن يذهب ولكن تكاليف السفر عالية، والبعض يريد الذهاب ولكن ليس له علم يذهب به، وأنا فكرت فيك أنت.

"أنا؟!" قالها أبو يحيى مستغربا.

-بالرغم من أنك غير مشهور ولكن عندك علم، فأنا من متابعيك في المسجد دروسا وخطبا، وأسلوبك في الحوار مميز ولا تُستفز سريعا، وأود أن تعقد معه مناظرة وتذاع على قناتي، لا شك أنها ستتحقق نسبة مشاهدة عالية وسنكون سببا في التفاف الشباب الذين اغتروا به حولك بإذن الله، فما رأيك يا شيخنا؟

-أنا على أتم الاستعداد للسفر، ولكن أعطني فرصة أُحضر نفسي وأشاهد حلقات منير زكريا حتى أعرف طريقة تفكيره وأسلوب حواره وأعد له العدة وأكون مستعدا للمواجهة.

- على بركة الله، وأنا سأتصل بقناة الحق هذه وأخبرهم بالأمر على أن تكون المناظرة بعد شهر من الآن، ولا تنس أن تجهز جواز سفرك وأوراقك.

ما إن صعد أبو يحيى لشقته إلا ودخل نحو غرفة مكتبه وجلس على حاسوبه الخاص ليبحث على حلقات "منير زكريا"، وجدها بوفرة على (اليوتيوب)، جلس أبو يحيى يستمع إلى "منير" باهتمام بالغ، وظل طوال ثلاث ساعات - قبل أن تأتي زوجته من الخارج - يستمع إليه ، وما وجد إلا حججا واهية ومكررة، وأسلوبا ركيكا، ورجلا صفيقا، وما أن دخلت "هادية" إلا ونظر إليها وابتسم، فهي شريكة حياته فلابد أن تكون أول من يعرف هذا الخبر، رحبت "هادية" بالفكرة فهي خدمة عظيمة للدين، وظل أبو يحيى شهرا كاملا يعد العدة.

الولايات المتحدة لوس أنجلوس مقر قناة الحياة

وبعد مقدمة موسيقية يظهر "منير زكريا" بوجه عابس وعنتظة مبالغ فيها قائلا: أحب اقول لمشاهديني إن بعد نداء متكرر مني على مدى سنة كاملة للمسلمين ابتدوا يفوقوا، واتصل بإدارة القناة هنا "صبحي المهدي" رئيس إدارة قناة الفضيلة، القناة اللي بتشيع الجهل والتشدد والتخاريف والإرهاب وأفكار محمد الرجعية، وأخبرونا إنهم مستعدين للمناظرة و إنهم محضرين ليا مفاجأة هتكسحني، وقالى إنه هايجبلى الشيخ أبو يحيى، وأحب أبشرك يا صبحي انا مبخفش ومعرفش مين أبو يحي لكن لا أبو يحي ولا حتى عم يحي هينفعوا معايا، وأنا في انتظاره، وبوعدكم أحبابى المشاهدين إني هكشف قدامكم جهل المسلمين ورجعيتهم، والمناظرة هتكون يوم الخميس ٨/١ الساعة سبعة مساءً، ولو انى أشك إن حد هييجى أصلا.

كان أبو يحيى يتابع كلام "منير زكريا" من خلف تلفازه، تعلو وجهه ابتسامة سخرية لما يقوله ذلك الرجل الجاهل، وبجانبه "صبحي المهدي" الذي شاركه نفس الضحكة بنفس الأسلوب.

أبو يحيى: أود أن أطرح عليك شيئا أستاذ صبحي.

صبحي: تفضل يا شيخ.

أبو يحيى: لو ذهبنا إليهم في إدارة القناة في عقر دارهم سيديرون المعركة بعدم إنصاف، ولكن أقترح أن تكون المناظرة في مكان محايد أمام جماهير، حتى تتوفر معايير المناظرة المتفق عليها بين المنصفين.

- فكرة رائعة. وأنا سأتصل بهم وأعرض عليهم هذا الأمر.

لو عرضت الأمر عليهم لن يقبلوا، ولكن أعلنه عندك في القناة وقل إننا لن نذهب إلا بهذه الشروط، ساعتها لن يجد الرجل مفرا إلا القبول.

- ما هذا التفكير الرائع يا شيخ، أنت ستشاركني بهذه الطريقة إدارة القناة.

"نتعلم منك أستاذي" قالها أبو يحي بخجل التواضع المعهود عنه.

النساء

اليوم هو يوم الجمعة، إجازة حائر التي يقضيها بين النوم ومشاهدة التلفاز، كما هو الحال عند أكثر المصريين العُزَّب الذين يحبون أن يقضوا يوم إجازتهم بهذه الطريقة، ورغم أن الوقت مبكر لكن قام حائر رغما عنه، فإن هاتفه النقال قد أخذ قرارا بإيقاظه وصمم على إعادة الرنة تلو الرنة حتى ينفذ غرضه، رد حائر وهو ما بين النوم واليقظة، فكان الصوت من الجهة الأخرى صوتا نسائيا مألوفا على أذن حائر، وما إن سمع هذا الصوت إلا وانتبه تماما، وعرف من صاحبته أنها "ياسمين" حب عمره، والتي أيقظت نبضات قلبه من سنين، وبالرغم أنه لم يتزوجها بسبب خيانته لها، وبالرغم أنها

تزوجت بغيره، لكنه لم ينسَها يوما، وهذا هو سبب تأخر حائر في الزواج، فإنه أصبح أسيرا لمحبتها.

نعم حائر متعدد العلاقات، وشعاره في الحياة "امرأة واحدة لا تكفي"، وكانت "ياسمين" معه على أمل تغييره يوما، وكانت ترجوا أن تكتنفه لها وحدها، لكن للأسف قد جرح قلبها وقام بخيانتها بل مع صديقة عمرها، وهذا جعل "ياسمين" تأخذ قرارها بالابتعاد عن حائر، بل بالزواج سريعا حتى ترد له الجرح، وبالرغم أن حائرا كان متعدد العلاقات لكن التي احتلت قلبه ورفعت عليه علمها وأعلنت أن هذه المنطقة محرمة الدخول لغيرها هي "ياسمين"، ومهما قابل بعدها كان يعيش على ذكرها.

كما قال أبو العتاهية

نقلْ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ
كـــمْ منزل في الأرضِ يألـفه الفـتى وحـنـيـنـُه أبـــداً لأولِ مـــنـــزلِ

- مش ممكن. ياسمين؟!

- عامل ايه يا حائر؟

- مش كويس طبعا وانتي عارفة.

-طبعا أنا عرفاك مش كويس.

حائر ضاحكا: أنا قصدى حالى مش كويس مش أنا إللى مش كويس، ولا عندك حق انا فعلا مش كويس، إزاي ابقى عندى عقل وأفرط فيكى وابص لغيرك، بس قوليلى إيه إللى فكرك بيا دلوقتي بعد العمر دا وإيه إللي خلاكى تعمليلى المفأجأة الجميلة دى؟

- تقدر تقول غباء أو قلة عقل.

- وفين جوزك؟

- أنا اطلقت.

"مش معقول وليه كدا؟" قالها حائر مبتهجا.

- طلع ندل زيك بس مع اختلاف التوجهات، كل واحد بيبقى متخصص في نوع من الندالة

- أنا مبسوط وانا بتهزق منك بس بجد قوليلى ايه اللى حصل ولا اقولك إيه رأيك اعزمك النهاردة على العشاء وتحكيلى؟

- مش هينفع؟

"كنت عارف الرد هيبقى كدا" قالها حائر متحسرا.

"خليها غداء ياحائر" قالتها ياسمين بشوق.

يوم السبت

ما أن انتهى منذر من صلاة الفجر في المسجد الكبير المقابل لمنزله وخرج منه حتى لمح حائرا يقف على الرصيف المقابل، والذى يقع تحت شرفته، فقد كان حائر منتظرا له بجانب سيارته الجديدة التي ما انتهى من قسطها إلى الآن، وكان يعلم أن منذرا في المسجد في هذا الوقت، وما كان له من خيار إلا الانتظار، وهذا المشهد أصاب منذرا بالذهول، فإن حائرا في هذا الوقت لابد أن يكون نائما، ولابد من مصيبة هي التي أتت به الآن، ولكن هذه الأفكار ذابت عن خاطره مع ابتسامة حائر المتسعة التي كانت على وجهه، وهي ابتسامة لم يرها على وجهه منذ سنة تقريبا عندما بدأت أمه رحلتها مع المرض، بل لم يرها منذ سنين عندما فارقته "ياسمين".

- خير يا حائر، ما الذي أتى بك الآن؟

انا أعلم أن الوقت مبكر جدا، ولكن أنا في غاية السعادة وأحب أن يشاركني أحد سعادتي، فأتيت على خاطري وأنا لا أستطيع النوم من الأمس.

-ما شاء الله جميل جدا، ولكن ما هذا الذي جعلك سعيدا إلى هذا الحد؟ أشركني معك في فرحتك.

"هل تعرف مع من كنت الآن؟" قالها حائر بشعور كبير من الفرحة كان يظهر مع كل حرف ينطقه.

-من؟ أكيد أستاذ محسن مدرس العلوم في مرحلتك الإعدادية الذي كنت تحبه وتقدره.

- طبعا أستاذ محسن مقابلته تسعدني، ولكن ليس لدرجة أنها تطير النوم من عيني، كنت سأسعد بلقائه وأنام بعد ذلك.

- حيرتني معك يا حائر، قل من.

- ياسمين.

قال حائر اسمها وعينه فيها بريق، وينطق اسمها حرفا حرفا كأنه لا يريد أن ينتهي من نطقه سريعا؛ فنطق حروف اسمها يزيد من سعادته.

-ياسمين حبيبتك؟! ألم تتزوج من شادي البسيوني ضابط الشرطة جارهم؟

عقد حائر حاجبيه، وغير من نبرة صوته، وقال بنبرة مشاغبة: طُلقت منه يا صديقي بعد أن أذاقها الويلات وبعد أن استعمل سلطاته معها، وبينهما محاكم الآن لأنه تعدى عليها بالضرب أكثر من مرة، غير أنه غير سليم السلوك في عمله.

كان هذا الحوار دائرا بينهما وهم على سلم العمارة، وامتد بينهما إلى أن أشرقت الشمس، وما أن انتهيا من إفطارهما حتى رن تليفون حائر، إنها "ياسمين".

ترك منذر حائرا في حواره معها وقام ليرتب بعض الأشياء، وقد تطرق إلى سمعه سيرة الزواج وأن حائرا يعرض على "ياسمين" هذا الأمر، وسمعه أيضا يقول "لن أدعك تضيعين من يدي مرة أخرى"، وقد بدت على نبراته الارتياح، يبدو أنها وافقت، فإن "ياسمين" تحب حائرا جدا، وزواجها من "هادي البسيوني" كان خطأً في حد ذاته،

وكان مكتوبا له الفشل، وهي الآن أعلنت انهزامها وعودتها إلى حبها الوحيد.

وما أن انتهى منذر من أعماله إلا وقد كان حائر انتهى من محادثته الهاتفية، فقال له منذر "ليتك تقوم سلوكك معها ولا تحاول أن تفكر في غيرها".

قال حائر بنبرة ثقة وشموخ: يا صديقي، لكل رجل فتنته، فأنا مثلا لا يؤثر في قلبي مال الدنيا، ولكن النساء في حياتي كالدم في العروق، تريدني أن أعيش بلا دماء؟! هذه حياة شاحبة لا طعم لها ولا قيمة.

أيعنى هذا أنك ستخونها مرة أخرى؟

حائر: لا أعدك لا بهذا ولا بغيره، قد أعيش فترة وفيا لها ثم بعد ذلك أضعف أمام أي امرأة تظهر لي، وقد أعيش وفيا طوال عمري، لا أعرف يا صديقي، حقيقة لا أعرف.

- أنت عجيب؛ أقوى الرجال في أشياء كثيرة وإذا أتى ذكر النساء تضعف، وقد تصنع أي شيء لأجلهن، وهذا أمر سيء جدا فيك بجانب خصال أخرى.

"هناك نوع من الرجال من الممكن أن يفعل أي شيء لأجل النساء" قالها حائر ثم

توقف عن الكلام، وبدت علامات الدهشة والتأمل المريب على وجهه، ثم بسمة ماكرة تلاها صوت عال وهو يقول: مثل رسولكم يا صديقي.

حينئذ فهم منذر ما سبب هذه العلامات التي ظهرت على وجه حائر، فقال له: أتريد أن تقول إن محمدا - صلى الله عليه وسلم - شهواني وأنه مزواج.

"بل إنه ادعى النبوة من وجهة نظري لأجل النساء" قالها حائر مقاطعا لمنذر.

- بضاعتك مزجاة، وقد أتى بها من قبلك كل التجار الخائبين ولم يفلحوا في ترويجيها.

- لا يا صديقي العزيز، إذا نظرنا في التاريخ لوجدنا أن كثيرا من مدعي النبوة انفلتوا، أو ليزدادوا انفلاتا على انفلاتهم ادعو النبوة، فلا يقنعون بمقارفة المعاصي فحسب بل يجعلونها حسبة لله وتقربا له ودينا يبتغون به وجهه، فتجد الإباحية في بعض عقائد المجوسية - التي تبيح كل شيء من الآثام - وفى العصر العباسي على وجه التحديد تجد أن كثيرا من الحركات العقائدية قامت على الانحلال والإباحية والدعوة إلى النساء لتجذب إليها الناس، وبالفعل ما قامت حركة دينية على الإباحية إلا وتهافت الناس عليها كتهافت الفراش على النار، والقاعدة تقول "كثرة أتباعك على قدر فسادك"، فإنك ترى البهائية مثلا منتشرة في أوساط المراهقين والمتطلعين إلى الجنس والفجور([٤٤])، فالانحلال أقرب إلى النفس من الأخلاق، ولو تمكن منه لكان أمكن فيه من نبضاته، وأبو نواس الشاعر المعروف بفسقه ومجونه وزندقته ما أراد الزندقة لعينها، ولكن لم يجد بابا للفجور أوسع من بابها ([٤٥])، وأنا أرى أن محمدا ادعى النبوة لكي يصل إلى أكبر عدد من النساء.

"هل أنهيت كلامك الآن؟" قالها منذر بهدوئه المعهود.

لم يرد حائر واكتفى بتحريك رأسه معلنا بذلك أنه أنهي كلامه ومستعد لسماع منذر.

قال منذر: أنا لا أعلم كيف يكون رجل في مثل ثقافتك واطلاعك الكبير ويغالط كل هذه المغالطات ويقتنع بمثل هذا الهراء الذي ليس له أساس من الصحة، فإن الحركات الإباحية التي ضربت بها مثلا قامت في مجتمعات محافظة تمنع الاستمتاع بالنساء إلا بشروط الشرع، ولذلك وجدت رواجا لإباحتها الزنى والاستمتاع بالنساء على الإطلاق، لكن ما الذي يجعل محمدا - صلى الله عليه وسلم - يتكلف عناء ادعاء النبوة حتى يحصل على شيء هو أصلا في مجتمعه كان

---

([٤٤]) تكلم عن هذا باستفاضة الشيخ إحسان لاهي -رحمه الله- في كتابه عن البهائية فانظره.

([٤٥]) صاحب العبارة دكتور شوقي ضيف في ترجمة أبي نواس، كتاب تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول.

مباحا؟ ما الذي يجعل محمدا - صلى الله عليه وسلم - يدعى النبوة حتى يتزوج تسعا مثلا أو ثلاث عشرة امرأة، وفي الجاهلية كان في إمكانه أن يتزوج من مائة امرأة ولا أحد يستطيع أن ينكر عليه ذلك، ونحن قلنا إن المال معه كان متوفرا وكان يستطيع ذلك بغير تكلف، بل العكس هو الذي حدث بمجيء الإسلام، فإن الإسلام جاء مقيدا ومحددا كما وكيفا، وأقصد بالكم تحديده العدد الأقصى لتعدد النساء بأربعة بعد أن كان لك عدد لا نهاية له، فكان الصحابي يأتيه وهو تحته عشرة من النساء فيقول له "أمسك أربعة" ويأمره بمفارقة الباقي([٤٦])، وأقصد بالكيف أنه بعد أن كان لك الحق أن تتزوج أي امرأة وأن تجامعها في أي وقت أصبح هذا ممنوعا في بعض الأحيان، فلا يتزوج الرجل من زوجة أبيه ولا بكثير من النساء التي له صلة بها من ناحية النسب أو الرضاعة، فلا يجمع بين الأختين ولا بين المرأة وخالتها أو عمتها، بل إن الزوجة إن حاضت لا يمكن أن تقربها بجماع، ولو كانت في نفاس فكذلك، وهذا الأخير قد يطول إلى الشهرين، فما الذي يجعل محمدا لو كان كاذبا أن يضع هذه القيود على أتباعه وعلى نفسه، فإنه كان إذا أراد أن يقرب زوجته الحائض فإنه كان يفعل كل شيء إلا الجماع، ولو نظرنا إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - لوجدناه نوعا عفيفا من البشر ولوجدنا العفة تتمثل في كل صفحات حياته ويظهر الحياء في أسطرها، فلم يؤثر عنه الزنا قط، وكان أبعد الناس عن الفاحشة، ولو تمثلت الفاحشة نارا لما كان أبعد عنها مما كان، وكان هذا في مجتمع لا أقول مجتمع الرذيلة ولكن مجتمع فيه كثير من الرذيلة، فهي متاحة بأشكال مختلفة، فهو مجتمع تُرك فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل كبير، فلا الحرة تنهى البغي ولا البغي تأمل في أن تكون حرة، تُعامل فيه المرأة كسلعة بل هي أحط، فكان بعض الرجال إذا لم ينجب من امرأته أمرها أن تذهب إلى جاره ليطأها، فتُعامل المرأة معاملة البهيمة، المهم أن تُنتج ولا يهم من أنتجها، ثم يا حائر لو كان هذا هو هدف محمد - صلى الله

---

([٤٦])

عليه وسلم - لما تأخر تحقيق هذا الهدف طيلة ثلاثة وخمسين عاما، وهو عمر محمد - صلى الله عليه وسلم - عند زواجه من أول امرأة بعد خديجة، أرأيت رجلا شهوانيا تظهر عليه علامات حب النساء بعد سن الخمسين؟ فإن الرجل تعتدل شهوته في هذا العمر بل تخفت ولا تفور، ولو كان هذا هو هدفه لادعى النبوة في سن العشرين أو الثلاثين، ثم أرأيت رجلا شهوانيا عندما يتزوج تكون أول زوجتين في حياته أكبر منه؟ فخديجة كانت أكبر منه ولم تكن بكرا، ثم تتلوها سودة بنت زمعة، وكان سنها حين تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم-خمسة وخمسين عاما، ولم تكن بالطبع بالمواصفات المطلوبة لرجل يهوى النساء لدرجة أنه ادعى النبوة من أجلهن، ولم يتزوج بكرا سوى عائشة، ويتزوج من حفصة بنت عمر وهي أيضا لم تكن لها مواصفات عالية في الجمال، بل إن من نسائه صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني نضير، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذها سبيا في غزوة بنى النضير.

"أنت تقول سبيا مقرا وكأن هذا أمر مباح، أليس هذا يهين المرأة؟" قالها حائر مقاطعا لمنذر.

قال منذر: هذا قانون كان موجودا يمشى عليه الناس عربهم وأعجمهم، والسبي موجود في التوراة، وكان لإبراهيم كما تحكى لنا التوراة جوارٍ يجامعهن ويطأهن، لكن كما قلت لك قبل ذلك أنت تقبل هذا الأمر من أي أحد إلا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لأنك تتعامل معه بفكرة مسبقة، وهي ما ورثته عن آبائك من بغض له، ثم إن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لأجل ما تقول لم يرض أن يجامعها وهي جارية ولذلك أعتقها وتزوجها، قل لي ما الذي يجعل محمدا -صلى الله عليه وسلم- لو كان يريد المرأة كجثمان أن يعتق صفية وهو قد هزم قومها في الحرب نتيجة لما فعلوه من خيانة المسلمين؟ لو أن رجلا غير محمد لأذلها كرها في أهلها الذين كانوا يعملون على قتله وعلى هزيمة المسلمين، لكنه لم يكن ليفعل ذلك لأنه هو الذي علم الدنيا كلها الأخلاق، بل إنه كان بإمكانه أن يجامعها

وهي جاريته ليس لها حق عنده، لكنه أعتقها ورفع من شأنها، ومثل هذا فعله مع جويرية بنت الحارث التي كانت في الجواري ووقعت في حظ دحية الكلبي وجاء قومها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحسرون أن تكون ابنة ملكهم جارية لرجل من عوام المسلمين، ولذلك عرضوا على النبي أن يأخذها جارية، وبالفعل وافقهم النبي، ولو كان أحدا غيره لأذلهم ولتركها تحت دحية، ولكنه يتعامل بأخلاق الأنبياء، وأمر دحية أن يأخذ امرأة غيرها، وهي وإن كانت ما زالت على الكفر ودحية أفضل منها إيمانا في هذا الوقت ولكنها ملكة، وأخذها النبي ولكن لم يأخذها جارية، بل أخذها زوجة، وأيضا من زوجاته ريحانة النضرية، كانت أمة، أعتقها وتزوجها([٤٧]).

وأنا لا أنكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يحب النساء، ولا أقول لم يكن له إرب فيهن، فإن عدم اشتهاء النساء يُعد في الرجال عيبا، ولكن أريد أن أبين أنه لم يكن يتمسك بهن لدرجة أنه يتنازل عن مبادئه لأجلهن، فما بالك أن يكذب على الله لأجلهن، ومن أكثر ما يبين لك هذا موقفه مع الجوينية.

"ومن الجوينية؟" قالها حائر مستغربا للاسم.

- هذه امرأة ابنة ملك، دخل عليها النبي في ليلة بنائها، فلما اقترب منها قالت: أعوذ بالله منك.

-ولمَ قالت هذا؟

- لا أحد يعلم لماذا قالت هذا، هناك من يقول إن عائشة هي التي مكرت بها وجعلتها تقول هذا حتى يطلقها رسول الله، والجوينية طاوعتها جهلا منها بما سيحدث، ولكن الحديث الذي يقول هذا لم يثبت، وقد يكون ثبت لغيرها.

"وماذا حدث؟" قالها حائر بشغف كبير.

---

([٤٧]) انظر زاد الميعاد ١٣٣/١، باب ذكر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

- لو أنت مكانه ما الذي كنت ستفعله؟

قال حائر بابتسامة عريضة: سأحاول أن أهدئ من انفعالها وأرضيها بأية وسيلة، إنها ابنة ملك، يعنى شديدة الجمال، لابد أن أنالها في هذه الليلة.

-الفارق شاسع بينك وبين رسول - الله صلى الله عليه وسلم -، فإنه لما سمع منها هذا طلقها فورا([٤٨]).

"طلقها؟" قالها حائر في صدمة كبيرة

نعم طلقها، لأنه لا يمكن أن يستعيذ منه أحد بالله ولا يعيذه، والآن يا حائر هل من الممكن أن يكون رجلا افترى على الله كذبا لأجل النساء أن يتنازل عن ابنة ملك بكل هذه السهولة لأجل أنها استعاذت منه بمن كذب هو عليه؟ ومتى كان كثرة نساء الرجل دليلا على كذبه في النبوة؟! فإن سليمان في التوراة له ألف امرأة، ولكنكم تقذفون الناس بالحجارة وبيوتكم من زجاج.

وفى أثناء حديث منذر رن تليفون، وكانت "دعاء" صديقة "ياسمين" التي كان الانفصال بسببها.

قال منذر: لإن رددت عليها فلا أسمعك تذكر شيئا عن النساء في حياة النبي، فلا تكن منغمسا في الوحل وتعيب على الناس روائحهم الزكية.

ظل الصديقان ينظران لبعضهما مدة من الوقت والهاتف حكم بينهما، ثم قام حائر بالرد على "دعاء" معلنا بذلك سقوطه، وقد اضجع منذر على فراشه، ثم استدار حائر وهو يتكلم بنغمة شيطانية في هاتفه وأغلق مصباح الغرفة، ثم خرج من شقته وقد انغمس منذر في نوم عميق.

---

([٤٨]) للتوسع في حديث الجوينية اقرأ فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٣٥٧/٩

السفر

كان أبو يحيى يتجهز للسفر عندما رن هاتفه، اعتقد في البداية أنه "صبحي المهدى" مدير القناة والمسئول عن إدارة مسرح المناظرة في الولايات المتحدة مع "منير زكريا"، لكن وجد أنه رقم غير مسجل باسم عنده، رد على الهاتف مسلما فكان صوت نسائي متسائلا "الشيخ أبو يحيى؟"

-تحت أمرك تفضلي.

-أنا مدام إلهام جارتك يا شيخ.

تعجب الشيخ أبو يحيى، فمع أن مدام "إلهام" جارته منذ ما يقرب من أربع سنوات لكنهما لم يكن بينهما إلا السلام في أضيق الحدود، وأحيانا لا يكون، وهي ليست معها رقم هاتفه، ولكن ما كان من أبي يحيى غير حفاوته بالمتصلة، فلقد كان مهذبا.

- أنا أعلم أنها مكالمة غير متوقعة، لكن أنا في إشكال كبير ولم أجد غيرك لحله بصفتك جارا عزيزا وإماما للمسجد.

-أنا بالطبع لن أتأخر، ولكنى في حقيقة الأمر على سفر الآن إلى الولايات المتحدة.

"هجرة يا شيخ ولا إيه؟" كان تساؤلها فيه نوع من الشغف والخوف.

-لا، أنا ذاهب إلى هناك يومين أو ثلاثة، أسبوع بالكثير، وعندما أعود بإذن الله سأتصل بك وأحاول حل ما عندك من إشكال.

"لا عليك يا شيخ وأنا في انتظارك" قالتها مدام "إلهام" بعد تنهيدة، كأنها تقول لنفسها "حتى من قصدتيه لحل أزمتك سيسافر"، وكأن كل الأبواب أُغلقت في وجهها، مما أدخل في قلب أبي يحيى الأسف من هذا الموقف، وما كان من أبي يحيى إلا أن أغلق هاتفه وأكمل تجهيز نفسه، وسمع صوت عربة أستاذ "صبحي"، نزل إليه ووجده أمامه بابتسامته المعهودة.

صبحي: أهلا أهلا سيدنا، أرجو أن تكون في أفضل حال.

- الحمد لله في نعمة، ولكن أخبرني ما هي خطة السفر؟

- سنصل بإذن الله في حدود الرابعة فجرا، والمناظرة ستكون في الساعة السابعة مساء على المسرح كما طلبت، ونحن الذين نتولى إدارة المناظرة ولكن بحيادية كما هي تعليماتك، وعلى كل حال سيكون أمامك وقت طويل للنوم وللاستعداد قبلها، دخل أبو يحيى السيارة مبتدأ جلسته بدعاء الركوب"**سُبْحانَ الذي سخَّرَ لَنَا هذا وما كنَّا له مُقرنينَ، وَإنَّا إلى ربِّنَا لمُنقلِبُونَ. اللَّهُمَّ إنَّا نَسْألُكَ في سَفَرِنَا هذا البرَّ والتَّقوى، ومِنَ العَمَلِ ما تَرْضى. اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنا سفرَنَا هذا وَاطْوِ عنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ في الأهْلِ. اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنْ وعْثاءِ السَّفَرِ، وكآبةِ المنظرِ، وَسُوءِ المنْقلَبِ في المالِ والأهلِ وَالولَدِ**»([٤٩])، قال أبو يحيى دعاء السفر في سكينة وطمأنينة، وبنبرة فيها ثقة وثبات، مما بعث في قلب "صبحي المهدى" السعادة الغامرة موقنا أن الله سينصرهما في هذه الرحلة.

المسرح

صعد أبو يحيى المسرح، وكان صعوده سابقا لصعود "منير زكريا"، ووجد أعدادا غفيرة تعد بالآلاف، فقد كان "صبحي المهدى" سوَّق للمناظرة على قناته وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى دعاية قناة الحق للمناظرة، فاجتمع الناس من كل صوب وحدب إلى هذه المناظرة، وكان التصفيق حادا عندما صعد الشيخ، ولما صعد "منير زكريا" المسرح زاد الترحيب به على الترحيب الذي ناله أبو يحيى، وهذا وضع طبيعي نظرا للبلد التي تقام فيها المناظرة، فإن نسبة المسلمين بها أقل من غيرهم، وهي البلد التي يقيم بها "منير زكريا"، وإدارة قناته بها، فهي موطن أنصاره ومريديه، وشعور الخوف كان سيدخل في قلب أبي يحيى الوهن، لولا أنه دعا بدعاء موسى (**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي**)([٥٠])

---

([٤٩]) ٢ صحيح مسلم/١٣٤١

([٥٠])

كان هذا الدعاء دعامة لقلب أبى يحيى في مواجهة هذا الزخم، وإن كان "منير زكريا" له أنصار أكثر فإن الله مع أبي يحيى، وكانت الكلمة لـ"منير زكريا" الذي ابتدأها بصوته الأجش ونبرته التي تحمل الحقد على الإسلام والمسلمين، وقال نفس الأفكار العفنة القديمة التي يتحمل كبر إثمها المستشرقون الحاقدون على الإسلام، وهي في مجملها أفكار قديمة عفى عليها الزمن، وكان يلقي بها وكأنها من جعبته، وكان كلامه يتضمن معاني كاذبة مثل: ظلم الإسلام لغير المسلمين، وكيف أنه يكفر غير المسلمين وأنه يعاديهم ويظلمهم، وتكلم ما يقرب من ثلث ساعة بغير مقاطعة من أبي يحيى، فهذا من ضمن شروط المناظرة، ولما انتهى أُعقب كلامه بتصفيق حاد من أنصاره الذين اعتقدوا أن أبا يحيى سيعجز عن الرد.

وما أن جاء دور أبي يحيى إلا أن ابتدأه بنبرة هادئة تنم عن ثقة في النفس وعلو في العلم والمكانة قائلا: أعجب كل العجب ممن يحكم على دين أحد بأنه دين مبتدع لأنه يكفر الآخر، وإن كان هذا هو المقياس فإنه لا يوجد دين صحيح أبدا، لأن كل الأديان قائمة على هذه الفكرة، وهي تكفير الآخر وتخطئة الآخر، فإن اليهودية تكفر النصرانية والعكس، وكلاهما يكفران الإسلام والعكس صحيح بالطبع، وإلا لو كان الأول صحيحا لما جاء الثاني، وأنا أسألك أستاذ منير ما حكم المسلمين عندكم؟

"ليسوا كفارا" قالها بارتباك.

- يؤسفني أستاذ منير أنك تقول غير الحقيقة، ولكن إن كان ما تقوله حقا فإن كان محمد غير صادق – حاشاه – فالمسلمون إذن لن يدخلوا النار، وإن كان صادقا فأنتم الذين ستعذبون لتكذيبكم إياه، ضجت القاعة بالتصفيق الحاد لما قاله أبو يحيى، سكن التصفيق بعد أن عاد أبو يحيى مرة أخرى للكلام قائلا: وأنا أؤكد لك أننا عندكم كفار كما تعلم أنت جيدا. ساق أبو يحيى آيات - من كتاب "منير زكريا" الذي يعتقد فيه - تدلل على هذا، ثم قال: الإنصاف ليس معناه أنى لا أخطئ مخالفي، ولكن الإنصاف أن أعطيه حقه وإن خالفني، وهذا ما تجده

في الإسلام وفى شخصية رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم -، لو نظرنا إلى شخصية الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - بحيادية وبعيدا عن التعصب لوجدناه منصفا إلى أبعد الحدود، حتى وإن لم يكن هذا في صالحه ولا في صالح جماعته وأصحابه، فالإنصاف مع المخالف باب إلى الجنة لا تكاد ترى عليه أحدا في هذه الأيام، – تصفيق حاد – ولكن تجد هذا مع حبيبنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، فقد أعلمنا القرآن أن أهل الكتاب كثير منهم معادون للإسلام، ومع ذلك ينقل الصورة واضحة وكاملة غير مختزلة عند التحدث عن الأمانة، فيقول الله في كتابه "**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**"([٥١]) أي أن منهم الأمين وغير الأمين، فليس معنى أنهم معادون للإسلام أنهم كلهم غير أمناء، وليس معنى أنهم لا يوافقوننا الرأي أن نعمم عليهم الحكم وأن يكونوا جميعهم سيئين في كل جوانب الحياة، فليس كل كافر خائنا وليس كل مسلم مؤتمنا؛ ولذلك قال الله "**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**"([٥٢])فلا يصدنكم معادة قوم لكم على ألا تعدلوا معهم وتعطوهم حقوقهم، ويعقبها بالأمر الصريح الذي لا جدال فيه "**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**"

نعم أيها الجلوس الكرام أعطى النبي الحقوق لمن جحدوه حقه، وصدق قولا فيمن كذَّب قوله، وعدل مع من ظلمه.

كان حسن كلام أبى يحيى وصدق مشاعره منقولا إلى المستمعين الأتباع منهم والمخاصمين، ثم قال: تجد النبي - صلى الله عليه وسلم - يبرئ يهوديا من تهمة السرقة وينسبها إلى رجل من الأنصار، هل تصدقون هذا؟ رجل من الأنصار وهم القوم الذين نصروا النبي ودافعوا عنه ومنعوه مما منعوا منه نساءهم وأبناءهم، والقضية أن رجلا من المسلمين – فيه شبهة النفاق – يسرق من بيت مسلم آخر

---

([٥١]) آل عمران ٧٥
([٥٢]) المائدة ٢

شوالا من دقيق وفى داخله درع غالى الثمن، وكان الشوال مثقوبا؛ فنزل منه بعض الدقيق ليخط خطا يعلم الناظر منه من أين أُخذ الشوال وإلى أين ذهب، علم السارق بهذا - بعد أن رأى البعض الخط سائرا إلى بيته - فابتدر الأمر وألقى الشوال والدرع في بيت أحد اليهود، وقد اختار السارق اليهودي دون غيره لأنه - كما يعتقد - الركن الضعيف، وأنه كمواطن ليس له نفس حقوقه كمسلم، ولا يعقل أن يتهم النبي المسلم الصديق ويترك اليهودي العدو، فكان ماكرا في تصرفه، وتأتى حملة التفتيش لتبحث عن الشوال فتجده في بيت اليهودي، والحرز سيد الأدلة، ذهب الأنصار إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ليدافعوا عن رجلهم المتهم الذي لم يثبت عليه شيء ويتهموا اليهودي الذي وجدوا عنده الحرز، فمال النبي إلى جهة الأنصار، ويقع في قلبه تبرئة هذا المسلم، ولم يكن موقف النبي ناتجا عن هوى في قلبه، إنما ليس للقاضي إلا الورق، والورق في صالح المسلم، لكن أوراق القضية لم تُغلق يا سادة، فهل تعلمون ما الذي حدث بعد هذا؟

انتبه المستمعون إلى أبي يحيى منتظرين ما يقوله بأسلوبه التشويقي، كان "منير زكريا" يرى في وجوه حتى أتباعه هذا الشغف، فكره هذا الأمر جدا وارتبك وأبغض وحقد، ورأي أبو يحيى هذه المعاني على وجهه فزاده هذا قوة وإصرارا.

قال أبو يحيى: فُتح ملف القضية مرة أخرى بآيات تنزل في القرآن تتهم المسلم وتبرئ اليهودي؛ لتؤكد لنا هذه الآيات نبوة حبيبنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنه لا ينطق عن الهوى وأنه ليس مُحَرِّكا بل محرَّكا وليس قاضيا بل مقضيا إليه، هل تتصورن أعزاءي في كم أية تنزل تبرئة اليهودي؟ تنزل في إحدى عشرة آية، ليس آية ولا أيتين، وأنا أجزم أن هذا اليهودي لم يكن أبدا يعتقد أن الإسلام سيبرئه، وإن برأه لن يسجل تبرئته في القرآن، هل يبرئه الكتاب الذي يعاديه ويكذبه وهو غالبا يعلم صدقه؟ لكن لأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - صادق ولأن القرآن من عند الله وليس من البشر يحدث ذلك، بل ينزل الخطاب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - مشوبا بالعتاب مستطلعا

الآيات بقوله "**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ-** ولم يقل بين المؤمنين فقط **- بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** – وليس بما ترى **-وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا "**([٥٣]).

كانت الآيات التي يتلوها أبو يحيى على مسامع الحاضرين كأنها تتنزل الآن، فمعظمهم لم يسمعها قبل هذا، وإن سمعها كان لا يعلم لماذا نزلت، أكمل أبو يحيى قائلا: سبحان الله، وإن قيل إن الذي سرق كان من المنافقين، ولكن ما هي نظرة اليهود للقضية؟ أهي قضية بين يهودي ومنافق أم يهودي ومسلم؟ بالطبع كانوا ينظرون إليها على أنها قضية بين اليهود والمسلمين، فعندما يسمعون قوله (ولا تكن للخائنين خصيما) سيضعون كل المسلمين في هذه الخانة، وهذه نظرة أهل عدم الإنصاف، إذا دخلوا بلدة فسُرقوا يتهمون كل أهل البلد بالسرقة، ومع ذلك لم يخفف الله من وطأة الكلام على رسوله - صلى الله عليه وسلم -، بل أكثر من ذلك، هل تعلمون أعزاءي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رجع عن قوله لقول يهودية؟

ضجت القاعة بالأصوات الكثيرة والهمهمات والتساؤلات، لا يمكن أن يكون هذا.

---

([٥٣])أسباب النزول للشيخ هادي الوادعي –رحمه الله

أبو يحيى: يدخل النبي - صلى الله عليه وسلم - يوما على عائشة فيجد عندها امرأة من اليهود تقول إن المسلمين سيفتنون في قبورهم، فتنقل عائشة هذا الكلام إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيفزع ويقول: بل اليهود هم الذين يفتنون في قبورهم. ثم بعدها بأيام يأتيه الوحي ويعلمه أن كلام اليهودية صواب ([٥٤]). وأعمى البصر يرى هذه الحكاية نقيصة في السنة وأنها تنسب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن يهودية علمت محمدا - صلى الله عليه وسلم -، والحكاية ليست من هذا الباب، فليست من باب العالم والجاهل والمعلم والمتعلم، بل هي من باب اتباع الحق، فمن معه الحق يتبع، وليس معنى أن الهدهد علم ما لم يعلمه سليمان أنه أفضل منه أو أن الهدهد أستاذ لسليمان، ورسول الله لم يتبع اليهودية إنما اتبع الحق الذي معها، فليست في حقه إلا مُدحة، ولو كان محمد - صلى الله عليه وسلم - مدعيا لاختار أن العذاب في القبور يقع على اليهود فقط حتى يتفاضل المسلمون على اليهود في هذه الجزئية ويطمع الناس في اتباع دينه، والناس تختار الطريق الخالي من العذاب والزجر وإن كان كذبا، وتفضله على طريق العقاب وإن كان حقا، وإن كثيرا من البشر لا يتعاملون مع ذويهم بمثل هذا المنطق الحكيم، فتراه يكذب الصدق لمجرد خروجه من فم عدوه، والمسألة ليست في الفم الذي خرج منه الكلام، إنما المسألة في القول الذي خرج من الفم، وهذا هو منطق العاقل الصادق، هذا هو منطق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التعامل مع مخالفيه.

أعزاءي المنصفين، أنا قد انتهيت من كلامي، وأنا لست عليكم بمصيطر، ولن أعاقب أحدا على مخالفة أحد، وسأترك لكم حرية التفكير في هذه الشخصية العظيمة شخصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واعلموا أن ما نقلته الآن لا يوضح عظمة شخصيته ولو بقدر واحد على ألف.

---

([٥٤]) مسند أحمد ٤٠/ ٢٤١٧٨

تخطى التصفيق كل حدود المرات السابقة؛ وهذا أعطى قوة شديدة لأبى يحيى، وبهت الذي كفر، وانفتح مجال الأسئلة للمستمعين.

الفرح

عاد إلى بيته بعد يوم مرهق من العمل، وبعد تناول الغداء تصفح صفحته الشخصية على (الفيس)، وألقي نظرة على صندوق البريد الخاص به وإذا برسالة من صفحة باسم "ياسمين عادل" فيها السلام والتحية.

-كيف حالك يا منذر

منذر لا يعرف صاحبة الصفحة ومن تكون، فهي ليست عنده في الأصدقاء، وليس لها صورة شخصية على صفحتها حتى يتعرف عليها، ولكن ما كان منه إلا أن أجاب على الفور:

-الحمد لله تمام.

- منذ فترة كبيرة لم نتقابل يا منذر.

- في الحقيقة أنا لا أعرف ما هي المدة التي لم نلتق فيها لأني لا أعرف من تكونين حتى الآن.

قالت: أنا ياسمين عادل خطيبة صديقك حائر.

في حقيقة الأمر كانت مفاجأة غير متوقعة؛ فمنذر و"ياسمين" كانوا يلتقون عن طريق حائر عندما كانوا مخطوبين في المرة الأولى، وهي لا تعرف صفحته على (الفيس)، نعم قد تكون أتت بها عن طريق حائر، ولكن ما الذي جعلها تكلمه. وفى أثناء ما كان هذا الفكر يدور في خلده قالت: أنا أعرف أن الأمر مفاجئ، والأمر باختصار سيدي أنى أود أن تحضر يوم الخميس القادم حفل زفافي أنا وحائر.

- عن جد تتكلمين؟ وكيف ذلك وبهذه السرعة؟ وكيف هذا وحائر لم يخبرني بشيء قط؟

- حائر لم يخبرك لأننا قصدنا أن تكون مفاجأة لك، أما عن السرعة فأنت تعلم أننا تأخرنا في هذا القرار أكثر من اللازم.

- معكِ حق فيما تقولين ولكن ... مممممم

- أنا أعرف أنك لا تحضر أماكن فيها خمور ورقص، ولكن لن تكتمل فرحتنا إلا بحضورك خصوصا حائرا، فأنت تعرف كم هو يحبك.

-أعدك أنى لن أرفض لك طلبا آخر بعد هذا الطلب.

-هههههه هذه طريقة مبتكرة في الرفض يا منذر، على العموم لا عليك، أنا أحترم فيك تدينك والتزامك وتمسكك بمبادئك.

- بارك الله فيكِ. أتمنى أن تكون حياتكما في خير وسعادة دائما.

انتهى الحوار بين منذر و"ياسمين"، ثم أغلق الفيس وكان قد أُذِّن لصلاة المغرب، وقام منذر ليصلى صلاة المغرب في المسجد فهو حريص على حضور الصلوات الخمس في المسجد، وظل في المسجد بين المغرب والعشاء ليقرأ القران وليصلى العشاء، وصعد إلى منزله حتى ينام ليقوم مبكرا إلى صلاة الفجر، ولكنه فوجئ بهاتفه يرن، والمفاجأة ليست في الاتصال، ولكن المفاجأة أنه لا يظهر على شاشة الهاتف رقم قط، ظن منذر أن الهاتف به بعض العطل وقرر أن يرد.

لم يسلم المتصل وقال بصوت أجش عال: منذر؟

قال منذر: نعم.

- لم أكن أتخيل أبدا أنك تخون صاحبك حائرا مع خطيبته ياسمين. أيها المنافق الوقح، تظهر أمام الناس بصورة المتدين وأنت تبطن الفسق والفجور.

كانت هذه الكلمات بمثابة الرصاص الذي ألقي على مسامع منذر، وقال بصوت غاضب "من المتحدث؟ وما هذا المزاح السخيف؟" ولكن بلا جدوى فقد أغلق المتصل الهاتف. طار النوم من عيني منذر وظل طوال الليل يفكر من صاحب هذا الرقم المجهول، وما الذي يجعله يُقدم على مثل هذا، ومن أين أتى برقمه، وما الذي جعله يقول

هذا الكلام، فإن الحوار الذي حدث بينه وبين "ياسمين" كان في حدود أقل من ثلاث دقائق، ولم يكن فيه شبهة على الإطلاق، وعلى حسب كلامها حائر عنده علم بهذا، ومن خلال كلامها لا أحد يعلم أنها كلمته إلا أنا وهي وحائر، ولا يمكن أن تكون "ياسمين" هي المدبرة لهذه المكالمة السخيفة؛ فإن العلاقة بيننا لا تحتمل مزاحا من هذا النوع، ولا يمكن أن يكون حائر هو المدبر؛ فأي رجل يقبل على نفسه هذا، وحائر ليس بهذا السفاهة وخفة العقل، ولم يكن هناك بد من السكوت وطوي أمر هذه المكالمة، فمن فعل هذا لا يستحق عناء التفكير خصوصا أن الوقت غير مناسب، فحائر و"ياسمين" مقبلان على حفل زفافهما، وحتى لو كان الوقت مناسبا فمنذر شخص به حياء كبير ولن يتجرأ أبدا على فتح هذا الأمر مع "ياسمين" أو حائر.

بعد أسبوعين

يفتح حائر الباب، ويرحب بصاحبه منذر، ويأخذه من يديه بفرحة عارمة، ويدخله إلى منزله ليقوم منذر بدوره بتهنئة "ياسمين" على زواجها من حائر، وكان يبدو على "ياسمين" سعادة بالغة بوجودها بجانب حائر وبحياتها الجديدة، ويظهر على وجهها علامات الأمل في المستقبل وبأنه سيكون أفضل من الماضي، وجلسوا جميعا على طاولة الطعام الذي أعدَّته "ياسمين" للضيف العزيز.

أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث على مائدة الطعام، وكان الطعام والحديث يتنافسان أيهما أشهى من الآخر، ولم يكن للحديث دائرة محددة أو موضوع معين غير أنهم إن تذكروا موقفا تكلموا عنه بشجون وفرحة أو مر خبر في شريط الأخبار على التلفاز علقوا عليه، وبصرف النظر عن أهمية المواضيع أو بساطتها ولكنهم كانوا سعداء، فإن حائرا مع حلم عمره، و"ياسمين" تعوض ما فاتها، ومنذر يسعد لسعادتهما. ثم قاموا جميعا ليشربوا الشاي في شرفة المنزل، وافتتح حائر كلام الشرفة قائلا لمنذر: كيف لا تحضر زفاف صديقك؟

قال حائر هذه الجملة بعتاب صديق، ومداعبا بها "منذرا"، وعلى وجهه ابتسامة ليجنب منذرا أي نوع من أنواع الحرج.

قالت "ياسمين" معاتبة لحائر "ألم نتفق ألا تتكلم مع منذر في هذا الأمر؟" ثم أخذت موقف المدافع عن منذر بقولها "هذه أفكاره ومبادئه، وهو حر في اختياره"

قال منذر موجها الكلام لـ"ياسمين": أشكرك على هذا الشعور، ولكن هي أفكار ومبادئ منبثقة من شرع ودين.

قال حائر مستخدما نبرته المشاغبة التي تظهر في حواراته العقائدية مع منذر: وأي شرع وأي دين هذا الذي يمنعك أن تستمع بالحياة وأن تسهر وترقص؟

قال منذر: ليس بالضروري أن تكون وسيلتي للاستمتاع بالحياة هي نفس وسائلك للاستمتاع بها، فليس معنى أنك تسعد بالرقص والسهر أن يكون كل إنسان على وجه الأرض يسعد بمثل هذا.

ياسمين: وما الذي يسعدك يا منذر؟

منذر: أنا أسعد بالعبادة أكثر من سعادتكما بالرقص والسهر، أنا أجد نفسي في السجود أكثر مما يجد صاحب الكمان نفسه في العزف، أطمئن بذكر الله أكثر من اطمئنانكما ببعضكما.

حائر: إن محمدا قيدكم بالعبادة، فكل حياة المسلم الملتزم عبادة في عبادة.

منذر: حتى لو كان فيها تقييد فإنه تقييد ممتع ومفيد، فليس كل تقييد مملا، فهو كقيدك في حزام الأمان، لا يستغني عنه إلا متهور مصيره إلى الصدام، ثم إن نظرتك للعبادة ضيقة، فالعبادة كما علمها لنا النبي لا تقتصر على المسجد وفقط، بل كل عمل يقوم به المسلم إن حضرت نيته وابتغى وجه الله يكون عبادة، الصلاة والصوم والحج عبادة، وبسمتك لأخيك عبادة، وإخلاصك في العمل عبادة، ومداعبتك لزوجتك عبادة، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك عبادة.

"وهل لو وضع الرجل المسلم لقمة في فم امرأته تعد له عبادة؟" قالتها "ياسمين" في اندهاش.

منذر: بالطبع نعم.

ياسمين: هذه رقة عالية.

نظر منذر إلى حائر وقال له: ثم إن نقمتك على كثرة العبادة في الإسلام لا تتفق أبدا مع عدم تصديقك لمحمد - صلى الله عليه وسلم -.

حائر: وكيف ذلك؟

منذر: إن الذي يصل به الحال إلى الكذب على الله يكون صاحب نفس دنيئة، والنفس الدنيئة لا تهوى كثرة العبادة.

حائر: أنا لا أفهم مرادك.

ياسمين: يا حائر، منذر يقصد أن يقول إن الذي يكذب على ربه من صفاته أنه يتحلل من القيود، ولا شك أن من أشد القيود هي العبادات، فلذلك كيف يتفق كونه كذابا مع كثرة عبادته؟

منذر: وإذا نظرنا في التاريخ سنجد أن أول ما يلقي به مدعو النبوة من حقيبة دينهم المزعومة هي العبادات، ويتخففون منها ولا يستكثرون.

ضحكت "ياسمين" ضحكة لم يجد لها حائر مبررا، وقال لها منذر: علام تضحكين؟ قالت: تذكرت في هذا السياق ما قرأته عن قصة مسيلمة الكذاب مع سجاح. ضحك منذر أيضا، قال: نعم فهمت ما تقصدين جيدا. قال حائر: وأنا الوحيد الذي لا أفهم، هلا أفهمتموني؟

ياسمين: مسيلمة الكذاب هذا ادعى النبوة في أواخر عهد محمد، وأراد أن يساومه على أن يجعل له النبوة من بعد، ورفض محمد بالطبع هذا العرض.

قال منذر: لأنه نبي، وما كان له أن يقسم فيما لا يملك.

استكملت "ياسمين" حديثها قائلة: وبعد موت محمد – مع كل مرة تذكر فيها ياسمين أو حائر اسم محمد كان منذر يصلى عليه ويسلم – قام كثير من الناس يدعون النبوة وهم يعتقدون أنهم سيحققون النجاح الذي وصل إليه، حتى وصل الأمر إلى النساء، فقامت امرأة - وكانت نصرانية - تدعى النبوة، واتبعها قومها مصدقين لها أو طالبين للشرف والجاه من خلال اتباعها، وكان لها أتباع كثر، ووصل بها الأمر أنها أرسلت إلى مسيلمة تدعوه إلى اتباعها أو أنها ستقاتله، وهنا فكر مسيلمة في الزواج منها.

منذر ساخرا: لعلهما إذا تزوجا أنجبا أنبياء صغارا.

- وما الذي حدث؟ قالها حائر بتشوق.

ياسمين: عرض عليها مسيلمة أن يتزوجها، ووافقت بالفعل.

حائر: وما المضحك في هذه القصة؟

منذر: المضحك هو المهر الذي قدمه مسيلمة إلى سجاح.

ياسمين: هل تعلم يا حائر أنها كانت معه في الخيمة ثم خرج إلى أتباعها وقال لهم "مهر نبيتكم أن الله قد وضع من عليكم صلاة الفجر"([٥٥])

هنا ضحك الجمع، وقال منذر: لأن أصعب الصلوات صلاة الفجر لوقتها المبكر، فأراد الرجل أن يسقطها من على أتباعه وفى نفس الوقت لا يتكلف مالا في زواجه من سجاح، فضرب عصفورين بحجر، وهذا أيضا موجود في التاريخ المعاصر فيما يسمى زورا وبهتانا بدين البهائية، تجد تخفيفا عجيبا من العبادات، فالصلاة عندهم ليست واجبة، وليس في السفر صلاة ولا صوم، وإن تفضل الرجل منهم وصلى فإنها سجدة واحدة، ويكفي أن تصلي صلاة واحدة فقط في اليوم، وليس عندهم صلاة للجماعة، والصوم عندهم تسعة عشر

([٥٥])البداية والنهاية لغبن كثير ٣٥٢/٦

يوما ويُمنع فيه الأكل والشرب - نعم لا يمنع فيه الجماع -، وإن كنت متكاسلا فلا عليك أن لا تصلى([٥٦])

قال حائر: تقصد أن تقول إن من كذب على الله لن يقيد نفسه بعبادات مرهقة وإنما سيزيل هذا الثقل من على ظهره وأن محمدا كان كثير العبادة فهذا دليل على صدقه؟

منذر: بالطبع يا حائر. وأنا لو قلت لك انظر إلى العبادة في حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - لكنت مخطئا، بل انظر إلى حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - في العبادة، فلا تكاد ترى موطنا إلا وفيه عبادة، فأي كذاب هذا الذي سيفرض على نفسه خمس صلوات في اليوم والليلة، وكان من هديه أنه يطيل في صلاة الفجر حتى أنه كان يقرأ مائة آية في الركعتين، حتى أنه كان ينفلت منها بعد بدو نور الصباح، ويقرأ ثلاثين آية في الظهر، والعصر على النصف من ذلك، وهذا كلامنا في الفرائض، أضف إلى هذا سنن الرواتب وقيام الليل وصلاة الضحى، حتى أنه ينسى ركعتي السنة اللتين كان يصليهما بعد الظهر، فيصليهما بعد صلاة العصر، ولما يصليهما بعد صلاة العصر لا يتركهما أبدا إلى أن يموت - صلى الله عليه وسلم -. أي كذاب هذا الذي يفرض على نفسه قيام الليل ويجعله سنة في حق أمته؟ ألم يكن من الأولى ألا يفرض على نفسه شيئا بهذه المشقة؟ ولإن فرضه لمَ لا يفرضه على أمته؟ فإن الاشتراك في المشقة مما يخفف على النفس الثقل، فدل هذا على أن الفارض غير المفروض عليه، وإن مشكاة الوحي منفصلة عن بشرية محمد - صلى الله عليه وسلم -.

بل كان يطيل في الصلاة حتى تتورم قدماه، وكان يتعلق بها جدا، وينتظر لقاء الليل بفارغ الصبر، وإن تركه لمرض يكون حدث جلل في حياته حتى أن عائشة - رضي الله عنها - تحفظه فتقول "اشتكى النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يقم ليلة أو ليلتين"، وتشرح لنا هي

([٥٦])كتاب البهاية للشيخ إحسان إلاهي

كيف كان يقيم الليل في صلاته وهو مريض فتقول "كان يقرأ وهو جالس، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ نحو خمسين آية ثم يركع."

قالت "ياسمين" متعجبة: تهيؤه للركوع فقط بقراءة خمسين آية فكيف بباقي الصلاة؟

قال منذر مستأنفا: بل يقول الصحابة: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا سجد ظل ساجدا حتى ظننا أنه قبض، وكان إذا رفع من ركوعه يظل واقفا حتى نظن أنه نسي.

قالت ياسمين: يا لقوة هذا الرجل وصبره!

نظر إليها حائر نظرة التائه ثم قال لمنذر متخليا عن نبرته المشاغبة: أكمل يا صديقي.

قال منذر: يدخل خلفه يوما في صلاته أحد تلاميذه وهو ابن مسعود - رضي الله عنه - فيقول إنه قرأ ثلاث سور البقرة والنساء وآل عمران، وهذه سور ضخمة جدا في كتاب الله.

يعني النبي قرأ في هذه الصلاة التي يحدثنا عنها ابن مسعود خمسة أجزاء أكثر من مئة ورقة من المصحف حوالي ٦٦٢ ([٥٧])

قال حائر: ومن يقدر على هذا يا منذر؟

قال منذر سريعا: النبي يقدر على هذا، بل إنك بقدر قربك منه يعاتبك على تركك لقيام الليل، فهذا عبد الله بن عمر بن العاص يقول له "لا تكن مثل فلان. كان يصلي من الليل فتركه"([٥٨]).

أمَّا الأقرب مثل فاطمة ابنته وعلي زوجها وابن عمه فتزداد حدته عليهما، فيدخل ليلة عليهما فيجدهما نائمين فيقول غاضبا "ألا تصليان؟" فيجادله علي بأدب وبما يظنه حجة فيقول "يا رسول الله،

---

([٥٧]) زاد الميعاد ٢٠١/١ فصل "في هديه - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة " توسع فيه ابن القيم جدا في مبحث الصلاة راجعه تزداد استفادة بإذن الله تعالى

([٥٨]) البخاري ١١٥٢/٢

أنفسنا بيد الله، إن شاء أن يبعثنا بعثنا"، يعني إن شاء أن نقوم من نومنا لقمنا، فبما أننا لم نقم فإن الله لم يشأ هذا.

قالت "ياسمين" مبتسمة: وماذا فعل محمد؟

قال منذر: لم يرد عليه جوابا، وخرج من بيتهما يضرب فخذه بيده ويقول "**وكان الإنسان أكثر شيء جدلا**"([٥٩]).

ازدادت الابتسامة على وجه "ياسمين"، والحيرة والتيه على وجه حائر.

منذر: ولم تقتصر عبادته - صلى الله عليه وسلم - على الصلاة، بل في كل جوانب العبادة يضرب بسهم، فهذا الصوم الشاق على النفوس خصوصا في جوٍ حار مثل جو الجزيرة العربية تجد رسول الله يكثر في الصوم حتى إذا ازدادت مشقة الصوم بمشقة السفر لا يترك الصوم أيضا، فتجده أحيانا في السفر يصوم فيفطر الناس كلهم إلا هو - صلى الله عليه وسلم - وعبد الله بن رواحة([٦٠])، بل أحيانا كان يواصل الصوم فيصوم يوما واثنين وثلاثة بلا انقطاع، وعندما يطلب منه الصحابة ذلك يقول لهم "إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين"([٦١])، بل من هذا الكذاب الذي يذكر الصلاة حتى في موقف الخوف؟ وهو موضع الحرب التي تبلغ فيه القلوب الحناجر وتقل فيه السكينة ويخفت فيه الخشوع، أي دين مفترى هذا الذي يُحافظ فيه على عبادة الصلاة وقت القتال؟ فالكذابون يُفرِّطون في الصلاة في مواطن الأمن فكيف يحافظون عليها في موطن الخوف، فبالله عليكما حكِّما عقولكما، أي كذاب هذا الذي يذكر ربه ويصلي له في مرض موته، فيخرج يحمله عمه العباس وعلي بن أبي طالب، فيتقدم على أبي بكر ولا يستطيع أن يصلى واقفا لأنه يقف على حافة الموت، ويصلي بأبي بكر جالسا، فأبو بكر يتبعه والناس تبعا لأبي بكر.

---

([٥٩]) البخاري ١١٢٧/٢

([٦٠]) صحيح مسلم ١١٢٢/٢

([٦١]) متفق عليه البخاري ١٩٦٦/٣، ومسلم ١١٠٣/٢

بل آخر مرة رآه فيها أصحابه رضوان الله عليهم قبل موته بدقائق أو ثوان تبسم لهم لأنه رآهم يصلون([٦٢])، رجل من المفترض أنه كذاب يفتري على ربه كذبا جنته الدنيا ومقبل على حصاد عمله، هل يبتسم لأصحابه لحفاظهم على صلاة هو المخترع لها ويعلم جيدا أنها لن تنفعهم بشيء فما هم إلا مخدوعين؟

وفي هذه الأثناء تحشرج الكلام الخارج من منذر، واغرورقت عيناه ببعض الدموع التي تستحي النزول وقال: هذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، تجده مؤمنا عند كفر الناس، مقبلا عند إدبارهم، متعبدا عند انكفافهم، يقف لله متعبدا في مواقف لا يشاركه أحد فيها، وليس أبلغ من موقفه يوم بدر في هذا الصدد عندما ينام كل الصحابة إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فهو قائم تحت شجرة يصلي

هنا سقطت دمعة، ولكن ليس من عيني منذر، بل من عيني ياسمين.

([٦٢]) البخاري ١٢٠٥/٢

الأسئلة

كان قانون المناظرة يتيح للحاضرين أن يلقوا الأسئلة على المحاضرين بعد انتهاء الوقت المقرر لكليهما، ولذلك ما أن بدأت فقرة الأسئلة إلا وكثير من الجالسين كان عندهم مئات الأسئلة عن الإسلام وعن شخصية الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم -، أكثرهم تربصا به، وبعضهم ترددا، فيه والقليل منهم على حافة الإيمان له، وعلى اختلاف النوايا اختلفت الأسئلة بل وأسلوب الطرح، وكان أبو يحيى يرى أن في هذا فرصة كبيرة لإسماع الحاضرين الكلام عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي يصعب على أي أحد أن يسمع عنه ولا يحترمه هذا على أقل تقدير، فكان يرى في طرح الأسئلة مجالا آخر يستميل به قلوب السامعين الجاهلين بشخصية رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم -، وتقدمت إليه فتاة في منتصف العشرينات، تميل إلى القصر، تتسم بشرقية ملامحها، ألقت سؤالها متحفزة وقالت:

-أليس من المضحك أنك قد أتيت إلى هاهنا تحاول إقناعنا برجل قد انتهج منهجا صُنع من خلاله الإرهاب؟ أفكاره أصبحت منبعا يخرج منه المتعصبون؟ اذهب إلى أي مكان في العالم ستجد أن هناك رجلا يقتل بتعطش للدماء وهذا الرجل يحب محمدا حبا شديدا، ألا ترى سيدي أنك تحاول خداعنا؟

قام أبو يحيى بقمة الهدوء، فهو يعلم أنه أتى إلى مكان لن يفرشوا له الأرض وردا ليمشي عليها، ويعلم أن الأحوال السياسة في كل مكان حوله ليست في صالحه، وكان يتوقع هذا السؤال القديم، فحاول أبو يحيى أن يزيد من تركيزه ومن ثبات انفعالاته، فكان هذا أهم ما يميزه وخصوصا البسمة التي تعلو وجهه عند تحدث الخصم ليذهب ما به من لذة انتصار السؤال المنمق الذي اختيرت ألفاظه بعناية لتلعب على مشاعر المستمعين.

أبو يحيى: محمد - صلى الله عليه وسلم -لم يصنع الإرهاب، إن الذي يصنع الإرهاب هي بلادكم، فلم تُسفك الدماء كما سفكت في القرن العشرين، وكانت كلها على يد الغرب، قتل "هتلر" ٥٠ مليونا، وقتل "ستالين" الشيوعي الملايين، وهذا "ماو" ديكتاتور الصين قتل من مسلمي الصين في فترة حكمه ٢٦مليونا، حاصر هتلر مدن روسيا ثلاث سنوات حتى قتل منهم مليون قتيل جوعا وعطشا، وكل هؤلاء لم يتبعوا محمدا - صلى الله عليه وسلم -، ولعل منهم من لم يسمع به، من يصنع الإرهاب هي سياسة بلادكم العقيمة في الشرق الأوسط التي تدعم الطائفية وتحرش المذاهب بعضها ضد بعض، فتراهم يؤيدون الحكومات الطائفية في العراق، وكذلك في سوريا، ثم لما يظهر الإرهاب نقول محمد هو الذي صنعه؟! سيدتي، الذي صنع الإرهاب هي صواريخكم، وأسلحتكم التي تعيث في الأرض الفساد، وتأييدكم للطغاة، ووقوفكم في ظهورهم، فأنتم الوجه الأقبح للإرهاب، وأنا ما جئت إلى هنا لأتكلم في السياسة ولكن كما قال الشاعر "قال الخشب للمسمار: لمَ تشقني؟ قال: سل من يدقني".

لكل فعل رد فعل، فالحب لا يولد إلا حبا، والعنف لا يولد إلا عنفا، فلو أن حمارين تزوجا لا تنتظري أن يكون مولودهما أسدا، وإن من أجمل الناس وأعفاهم عن الناس محمدا - صلى الله عليه وسلم - حتى أنه كان يسامح من قتل له أحد أقاربه، فهل تتصورين من رجل يسامح من قتل عمه أن يتعطش للدماء؟ نعم يقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - توبة وحشي قاتل عمه حمزة، وحمزة من أعمامه المقربين، ويكفي أن المسلمين لم يظهروا شعائرهم في مكة إلا بعد إسلام حمزة - رضي الله عنه -؛ فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحبه حبين حب الفطرة وحب الإخوة في الإسلام لأنه من السابقين الأولين، يأتي وحشي ليأخذ منه عمه هذا بحربة يرميها فتقع على كتفه تخرج من بين كتفيه، قتلة بشعة فيها تمثيل برجل يحبه النبي حبا جما؛ ولذلك يجد في نفسه وجدا شديدا على حبيبه، وبعد سنين يأتيه قاتل عمه هذا يعرض نفسه مسلما، فيقبل منه الإسلام.

قاطعت الفتاة الشيخ ظنا منها أن الشيخ أوقع نفسه في مصيدة قائلة: ولكنه اشترط على وحشي ألا يريه وجهه مرة أخرى. ألا يدل هذا على قسوته؟

- بل هذا دليل عظيم على نبوته وعظمته - صلى الله عليه وسلم -، فمعنى أنه قال له ذلك أنه في غاية الحزن على فقدان عمه، ولو كان غير نبي لقام بقتل وحشي فورا واقتص منه لنفسه خصوصا أن إسلام وحشي في هذا الوقت كان قريبا من الأمر الواقع، فإنه أسلم بعد فتح مكة مباشرة بعد أن أصبح محمد -صلى الله عليه وسلم- مسيطرا على كل شيء، فلو أراد محمد - صلى الله عليه وسلم - لأوجد لنفسه مبررا لقتله، ولكنه خالف التوقعات، وقبِل إسلام وحشي بحكم نبوته، ولم يستطع أن يرى وجهه بحكم بشريته، أو بمعنى آخر قبل حق الله ولم يستطع أن يتناسى حق نفسه، وهذا من حقه([٦٣])، بل هل تتصورين أن يقبل إسلام من قام بقتل ابنته زينب؟ - وكانت هذه معلومة جديدة بالنسبة للفتاة التي من الواضح أنها مولعة بالقراءة عن رسول الإسلام - نعم قبِل هذا من هبار بن الأسود الذي كان سببا في قتل زينب - عليها السلام - هي وجنينها، لما كانت مهاجرة من مكة إلى المدينة وكانت حاملا جعل هبار يطعن الدابة التي تركبها حتى وقعت من عليها ونزفت دما، وعلى إثر هذه الحادثة ماتت زينب، ويأتي هبار بعد فترة فيستعطف محمدا بقوله "اصفح عني فإني مقر بذنبي"، فيجيبه النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله "لقد عفوت عنك، وقد أحسن الله إليك أن هداك للإسلام، والإسلام يمحوا ما قبله"()، بالله عليك كيف يفعل هذا من تظنون أنه كذب على ربه؟ بل انظر لما يريد أحد أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يقوم إلى هبار فيقتله فينهاه النبي-صلى الله عليه وسلم- عن قتله، ولما يتكلم هبار لا يأخذ سوى نصف دقيقة حتى يصل إلى عفو من قتل ابنته، ثم يقبل منه النبي - صلى الله عليه وسلم - بغير فاصل للتفكير أو حتى تنهيدة بين الكلام وكأن الأمر مفصول فلا يمكن أن يتردد فيه، وهو بالفعل لا

([٦٣])راجع قصة مقتل حمزة عند البخاري ح ٤٠٧٢

تفكير فيه، فيجب أن يقبل إسلام من جاء تائبا حتى وإن كان قتل ابنته، بل لا يكتفى بقبول توبته فيثنى عليه ويهدئ من روعه ويطمئنه بأن الله قبل منه وأن الإسلام يمحو ما قبله، فلو كان هذا خلق الكذابين فيا ليت كل الناس كذبة، ولكن حاشاه فهو رسول الله حقا - صلى الله عليه وسلم -.

obeikandl.com

الشك

كانت هذه الليلة ليلة أخرى جميلة في حياة حائر الناعمة الهادئة بعد دخول "ياسمين" فيها، فهي حبيبة عمره، وقد أصبحت الآن زوجته وشريكة حياته، وهذا أضفى نوعا من أنواع البهجة ولونا من ألوان السعادة على حياته، ولكن ما كان ليعلم أن انفتاح حياته سيتحول إلى ضيق وألوانها الزاهية إلى قاتمة كئيبة، وهذا حدث لما وصلت رسالة إلى حائر على هاتفه من رقم لا يعرفه وكان في وقت متأخر من الليل و"ياسمين" نائمة بجانبه على السرير، وعندما اطلع على الرسالة لم يصدق ما بها وظنه لوهلة كابوسا، وما لبث أن تحقق بأنه في الحقيقة التي هي أشد من الكابوس، وكان مضمون الرسالة

"ياسمين تخونك مع منذر تفحص رسائل صفحتها على الفيس للتأكد والسلام"

ضرب الدوار رأس حائر كالعاصفة، واحمر وجهه، وقبل أن يفكر حتى بالاتصال بالرقم ليكلم صاحبه فتح (فيس) "ياسمين"، وكان يعلم الرقم السري له فلم يكن في حياة "ياسمين" ما تخفيه على حائر أو هكذا كانت تريد أن تظهر له، وزاد الدوار لما تأكد من صحة مضمون الرسالة.

"حبيبي منذر متى سألقاك قد اشتقت إليك" ١:٣٠ ص

" حبيبتي ياسمين ألقاكِ غدا في شقتي في تمام الساعة التاسعة صباحا بعد مغادرة حائر المنزل" ٢:٠٠ ص

يا للهول!! لا يمكن، "ياسمين" تفعل هذا ومع أقرب أصدقائي منذر صديق عمري؟! كيف ذلك؟ فلم يكن منذر من أصحاب العلاقات السرية، وليست هذه أخلاق "ياسمين"، ولكن قد تكون تبدلت أخلاقها بعد زواجها الأول، وقد تكون رجعت إليَّ بهدف الانتقام لترد الجرح الذي سببته لها قديما، ولمَ قد تكون؟ بل هذا هو اليقين والرسائل شاهدة على اليقين "يا لك من وقحة، أتريدين أن تسقيني من نفس الكأس أيتها العاهرة؟" قال حائر الجملة الأخيرة صارخا بها في وجه "ياسمين".

فزعت "ياسمين"، وما أن أفاقت إلا ووجدت أمامها وحشا جسورا بادية على وجهه علامات الغضب الشديد، ولم تكن "ياسمين" تفهم مجريات الأمور وما سبب غضب حائر منها إلى هذا الحد.

-مالك يا حائر يا حبيبي؟

-متجيبيش اسمى على لسانك النجس القذر يا خاينة يا سافلة.

هال "ياسمين" ما تسمعه على لسان حائر، فهي لم تتعود أن تسمع منه هذا الكلام خصوصا لها.

-بتخونيني حضرتك مع منذر يا واطية.

-ايه الكلام اللي انت بتقوله دا يا حائر؟!

-أيوة ياختى اعملي فيها أم الشرف والعفاف.

ولم تلتقط "ياسمين" أنفاسها بعد حتى وجدت حائرا قد أمسك بشعرها بعنف وجعل منه آلة لتحريك رأسها حيث أراد يجرها نحو هاتفه الذي كان على بعد خطوات وهي تصرخ صراخا شديدا.

فتح لها الرسائل وهو يقول "ايه قولك بقا يا سافلة؟" قرأت "ياسمين" الرسائل وقد بدت على وجهها علامات الاستغراب من الرسائل.

-حائر، أنا لم أفعل شيئا يا حائر، صدقني، لست أنا صاحبة الرسالة.

عاد حائر ليطوح برأسها من جديد وعاد صراخها يعلو من جديد وهو يقول لها:

لا يا شيخة، فاكراني حمار حضرتك، بس أنا هحسرك على حبيبك قبل ما ارجعلك واموتك. خرج حائر سريعا وأغلق باب الشقة خلفه ليحبس "ياسمين" حتى يقتل منذرا ويتفرغ إليها، ولعل هذه كانت حجته في تأجيل قتلها، ولعل سبب التأجيل محبته لها، ومن حالة حائر الهستيرية لم يفكر في أنه ترك لياسمين هاتفها بل وهاتف المنزل في البيت، بل كل وسائل الاتصال متاحة لها لتتصل بمن تريد حتى يأتي ليخلصها مما يريده بها حائر، اتصلت "ياسمين" سريعا بمنذر مرارا

obeikandl.com

وتكرارا فالوقت متأخر وهو ما زال نائما إلى أن رد في النهاية آتيا له صوت "ياسمين" الصارخ:

-منذر، إلحق يا منذر، حائر جاي يقتلك، إنت بعتلى رسالة فيها كلام حب على الفيس؟

"لاء طبعا إيه الكلام دا" قالها منذر مفزوعا

- الحق يامنذر، اتصرف بسرعة.

فتح منذر الفيس سريعا ليقرأ الرسائل وكانت الصدمة عندما وجد في رسائله

(حبيبي منذر متى سألقاك قد اشتقت اليك) ١:٣٠ ص

(حبيبتي ياسمين ألقاكِ غدا في شقتي في تمام الساعة التاسعة صباحا بعد تأكدك من مغادرة حائر المنزل إلى عمله) ٢:٠٠ ص

انتبه سريعا ولبس ثيابه، وبعد ربع ساعة تقريبا كان حائر يصعد درج سلم بيت منذر الذي كان حالك الظلام، وهنا سقط مغشيا عليه، وكانت لكمة منذر هي السبب.

obeikandi.com

الحقيقة

أفاق حائر من إغمائه ووجد منذرا و"ياسمين" واقفين أمامه، وهنا عادت له ثورته قائلا "انتوا بجحين أوى يا كلاب"، ولولا القيود التي كانت حوله لارتكب جريمة كاملة الأركان.

"حبيبي، أرجوك اهدى وسبني أفهمك إيه اللي حصل وإن احنا ابرياء من اللي في دماغك" قالتها "ياسمين" بصوت هادئ مخلوط بالتوتر والأسى.

"ازاي أبرياء؟ انتي برده بتلعبي لعبتك القذرة؟" قالها حائر صارخا.

"بص يا حائر، أنا عايزاك تبص للرسالة اللي انت بتقول انى بعتاها لمنذر"، وأمسكت بهاتفها ووضعته أمام حائر ليقرأ الرسالة، ولم يجد حائر بُدا من القراءة.

(حبيبي منذر متى سألقاك قد اشتقت اليك) **١:٣٠ ص**

-هاه، شوفت إيه ياحائر؟

-يا عينك يا جبايرك، شوفت وقاحة وقلة أدب.

- وقت الرسالة الساعة كام يا حائر؟

"الساعة **١:٣٠ ص**" ثم استدرج حائر كلامه مرة أخرى قائلا "ايه؟!" وقال الكلمة الأخيرة متفاجئا.

- فهمت قصدي إيه، أنا نايمة الساعة ١٢:٠٠ ص وانت مخرجتش من اوضة النوم طول الوقت دا.

حائر على وجهه علامات الذهول "بالفعل أنا لم أتحرك من جانبك، كانت في يدي رواية أقرأها بشغف، وأنتِ أيضا لم تتحركي من جانبي" كان حائر يقول هذا الكلام في حين ما كان منذر يفك القيد من عليه، فقد أمن شره.

ياسمين: وأكبر دليل إن منذر مبعتش رسالة إن انا مبعتش رسالة.

حائر: لكن إيه معناه الكلام دا ؟

هنا تذكر منذر أمر المكالمة السخيفة وصاحب الصوت الأجش وقال بصوت عال سريع "فيه حد مخطط للموضوع دا كله ياجماعة، أنا جاتلى مكالمة وقحة من فترة قصيرة يحتوي مضمونها نفس معنى الرسايل، وطبعا ماكنش عندي الجرأة إني افاتح حد فيكم في الموضوع، واعتقدت ان شخص خفيف العقل إللي عمل كدا، ولم أظن أن الأمر سيتطور إلى هذا الحد".

حائر: لكن من صاحب هذه الفكرة السيئة والذي يكرهنا إلى هذا الحد؟ ومن عنده المقدرة أن يحصل على "إميلاتكم" ويتصل بي من رقم مجهول ويفعل كل هذا؟

هنا نطق الثلاثة في آن واحد "شادي البسيوني"

كان "شادي البسيوني" ضابطا معروفا بفساده وباستغلال سلطات عمله في حياته الشخصية، وهو في جهاز سيادي حساس، فهو الوحيد الذي عنده القدرة والإمكانيات لاختراق الإميلات، وعنده من المبررات الكثير لفعل هذا: أولا لسوء خلقه ووقاحته، ثانيا كرهه لـ"ياسمين" التي اعتبر تركها إياه جرحا لكرامته، ثالثا كرهه لحائر الذي اكتسب عداوته بعد زواجه من "ياسمين" خصوصا وهو حبيبها القديم. وقد كان "شادي" على علم بهذا من "ياسمين" فقد صارحته باسم حبيبها أيام الخطوبة التي كان يظهر فيها بمظهر الرجل المتفاهم الرقيق، أما اختياره لمنذر لم يكن له سبب سوى أنه أراد رجلا مشتركا بين "ياسمين" وحائر؛ لأنه لم يكن متأكدا من قيام حائر بقتل "ياسمين" لحبه الكبير لها مع تأكده من أن حائرا سيصيب من اختارته "ياسمين" بديلا عنه بمكروه، وبذلك تكشفت خيوط الواقعة واتجهت أصابع الاتهام حوله، واقتنع حائر أن أسلم الطرق للتعامل مع هذا الرجل الوقح التقدم ضده ببلاغ، وبالفعل حدث هذا وثبتت الجريمة على "شادي البسيوني" وفُصل من عمله بعد هذه الواقعة بأسابيع، فقد كانت رائحة الرجل الفاسد قد فاحت، والكثير هم من تضرروا منه وليس "ياسمين" فقط، ووجد حائر في فصل الرجل من عمله شفاءً لغليله الذي كان في قلبه تجاه ذلك الرجل الوقح.

الإفك

كان منذر عند حائر و"ياسمين" في بيتهما يحتفلون جميعا بانتصارهم الدامغ على "شادي البسيوني" الذي كان سيتسبب في إفساد حياتهم، وكانوا ثلاثتهم في غاية السعادة، ولكن كانت سعادتهم الأكبر ببعضهم، فسعادة حائر بـ"ياسمين" التي تأكد من إخلاصها له وبمنذر الذي تأكد من صدق نيته، وسعادة ياسمين في الحفاظ على بيتها وزوجها الحبيب، وسعادة منذر ببقاء علاقته بصديق عمره وعدم تشويه صورته أمامه.

وهنا قال منذر: ألا تعلم يا حائر أن قصتك هذه تذكرني برسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟

"وكيف ذلك يا منذر؟" كانت نغمة حائر في غاية التفاهم مع صديقه هذه المرة وإن كان الموضوع المطروح هو أساس الخلاف بينهما، ولكنه لم يود أبدا في هذه المرة أن يظهر لصديقه البريء ما يكرهه، ويكفي ما سبَّبه له حائر من متاعب.

- تذكرني بحادثة الإفك، فيها تشابه كبير بقصتك.

"وما حادثة الإفك؟ هل هو حديث يتعلق بشخصية الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -؟" قالتها "ياسمين" بنغمة المشتاق. فقد أعجبها حديث منذر عن النبي في المرة السابقة، وبدأت تطلع على جوانب هذه الشخصية الرائعة التي كلما قرأت عنها زادت إعجابا بها.

- القصة باختصار أن عائشة زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - خرجت معه في إحدى غزواته، وبعد أن فرغ النبي والجيش من المهمة تحرك الجيش راجعا إلى المدينة، وأثناء التحرك تخلفت عائشة عنه بسبب عُقد لها ضاع في الصحراء، فذهبت للبحث عنه ظنا منها أن الناس سينتبهون لمغيبها فينتظروها، ولكن كان هذا عكس ما حدث تماما، فقد مضى الجيش كله ولم يشعر أحد بمغيبها، وظلت عائشة وحدها في الصحراء على أمل رجوع بعض القوم لها عند افتقادها، وبينما هي جالسة جاء صفوان بن المعطل السلمي وكان من وراء

الجيش، فعرف عائشة ولم يكلمها بكلمة واحدة ورفع صوته بقوله (إنا لله وإنا إليه راجعون).

"لمَ قال هذا؟" قالتها "ياسمين" عاقدة حاجبيها عقدة المستغرب.

- هذه كانت طريقتهم أن يرفعوا صوتهم بالذكر عندما يريدون أن يوقظوا أحدا من نومه أو يلفتوا الانتباه إليهم، وبالفعل استيقظت عائشة، واحتملها صفوان على ناقته، ورجعا الى المدينة.

حائر: وأين التشابه؟

- لا تعجل عليَّ كعادتك، ليس فيما مضى تشابه، التشابه فيما فعله عبد الله بن أبي بن سلول.

حائر: ومن هذا؟

- هو كبير المنافقين في المدينة كان يحقد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه بمجيء النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة سحب بساط الرئاسة من تحت قدميه، وهنا التقط هذا المشهد ووجد منه فرصة للطعن في عرض النبي - صلى الله عليه وسلم -، وما أسرع الناس إلا لنقل الفضائح والإشاعات؛ ولذلك ظلت المدينة شهر كاملا ليس لها سيرة إلا حديث عائشة وصفوان.

ياسمين: وماذا كانت ردة فعل محمد؟

-ظل يأخذ رأي الناس، فسأل جارية عائشة فمدحتها بغفلتها، والغفلة في حق المرأة مدحة إن كانت هي دليل براءتها، وكذلك سأل زينب ضرتها فمدحتها، وبعد شهر نزل الوحي ببراءة عائشة.

حائر: ياه شهر كامل!! ولمَ تأخر كل هذه المدة؟

- أنا من أسألك يا حائر، لو كان محمد - صلى الله عليه وسلم - هو مؤلف القرآن فلمَ يتأخر الوحي شهرا كاملا عنه؟ فلو كان يملك وحيا

فهو كالسيف على أتباعه، وقد اتُّهمت زوجته في عرضها وشرفها فلمَ لم يؤلف آية على وجه السرعة يقطع بها ألسنة المتحدثين؟

- قد يكون يرى أنها خانته بالفعل.

- إذن لماذا لم ينزل آية بعقوبة عائشة؟ وتأتيه الفرصة للانتقام، وأكثر ما يجرح الرجل هي الخيانة، وأنت جربت هذا الشعور وجربت شعور الانتقام كيف يكون.

-قد يكون ظل مترددا طوال الشهر.

- إذن على الأقل ينزل وحيا يأمر الناس بعدم الخوض في هذا الأمر ثم يتثبت هو بعد ذلك ولا يعطي وقتا لأعدائه وفسحة من الوقت يتشفون فيه.

مصص حائر شفتيه معلنا عجزه عن الرد، فقد أحكم منذر عليه الخناق، والكلام في غاية الإقناع.

ثم عاد منذر يسوق أدلته ويقول: وإذا وجدت مفرا مما فات فكيف ستجد مفرا من تعامل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع مسطح بن أثاثة؟

ياسمين: ومن مسطح؟

منذر: مسطح هو ابن خالة أبي بكر الصديق، ولا تنس أن أبا بكر يكون والد عائشة المتهمة، وكان مسطح فقيرا، والذى يقوم على نفقته أبو بكر، ولكن مسطحا كان من ضمن الخائضين في عرض عائشة والنقالين للحديث، ولم يكن نقله للحديث ناتجا عن حقد لرسول الله فقد كان مؤمنا تقيا ولكن ناتجا عن غفلة ومكر من المنافقين به حتى أوقعوه معهم في خطيئتهم وإن اختلفت النوايا، ولما علم أبو بكر أن مسطحا يخوض في عرض ابنته قرر قطع النفقة عنه، فنزل القرآن يحض أبا بكر على معاودته للنفقة على مسطح "**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ**

**رَحِيمٌ**"([٦٤]) فتراجع أبو بكر عن قراره وأعاد نفقة مسطح كما كانت([٦٥])، هل من الممكن بعد هذا أن نشك أن القرآن لا يمكن أن يكون من تأليف محمد؟ كيف يكون من تأليفه وينزل وحيا يحض فيه على إطعام من طعن في عرض زوجته ويجعل الغفران والنعيم الأبدي هو جزاء من قام بإطعامه؟ فلو أي مخلوق آخر يملك زمام الوحي لمنع الناس من أن يسقوه شربة ماء، ولانتقم منه، ولنكل به تنكيلا، ولا يمدحه ويصفه بمواصفات جليلة في القرآن وأنه مجاهد في سبيل الله، حادثة الإفك من أعظم دلائل نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأشدها وضوحا، ولا أعرف لأحد يتهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالكذب مسلكا في الرد عليها، كيف لأحد يحمل شبهة من عقل لا يراجع نفسه بعد سماع هذه القصة أو قراءتها؟ ولتدوينها في القران دليل كبير على صدق نبوته - صلى الله عليه وسلم - لا يقبل النقاش ولا المراجعة، وليس فيه ثغور لناقد ينفذ منها لهدم الدليل، فهل بعد هذا من شك؟

ياسمين: لا بالطبع، ليس بعد هذا من شك.

كانت كلمة "ياسمين" صاعقة نزلت على رأس حائر وفرحة عارمة لمنذر الذي شعر أن "ياسمين" تفكر بحيادية أكثر من حائر وأنها أقرب منه للحق.

---

([٦٤]) النور ٢٢

([٦٥]) حديث الإفك متفق عليه البخاري ٣/ ٢٦٦١، ومسلم ٤/ ٢٧٧٠

العودة

بعد أن أنهى أبو يحيى رحلته في "لوس أنجلوس" التي حقق فيها نجاحا كبيرا وتفوقا على خصمه ظهر في تنميق كلامه وأسلوبه الجريء وقوة حجته حتى أن اثنين من الجالسين في المناظرة أعلنا إسلامهما، عاود مرة أخرى أدراجه إلى مصر وإلى مسكنه الأصلي، وقد استقبله مجموعة من الناس الذين شاهدوا المناظرة على قناة الفضيلة وعلى مواقع التواصل الاجتماعي مما حقق له شهرة في أيام عديدة، وأصبح يعجب العوام ببساطة أسلوبه والابتسامة التي لا تفارق وجهه، كان إذا ظهر أمامك تستشعر أنك قد شاهدت وجهه قبل ذلك، فإذا تكلم تكاد تجزم أنك تحدثت معه في يوم مضى، وما هذا إلا لأنه قريب من القلوب، وهذا ما نفعه في هذه المناظرة فالإسلام قضية رابحة تحتاج إلى محام لبق يحسن عرض الأدلة، وما عيب على الإسلام في شيء إلا لسوء عرض العارض لفكرته أو لحقد دفين لدى الناقد لا يريد أن ينفك عنه، وما أن وجد أبو يحيى الناس في استقباله حتى هاله ما يرى؛ فإنه كان منذ أيام مغمورا لا يعرفه أحد، ولكنه سلم نفسه لأحبابه في تواضع وهدوء، هذا يسلم عليه بحفاوة وهذا يقبله وهذا يحتضنه فإنهم يعتبرونه البطل الهمام الذي كسر حصنا من حصون الأعداء، فلطالما نال "منير زكريا" من الإسلام ومن رسول الإسلام -صلى الله عليه وسلم-، وكانت كثير من قلوب المسلمين بل كلهم تجد عليه وجدا كثيرا، يريدون أن ينالوا منه، ولكن كيف يكون هذا؟ وكيف السبيل إليه؟ نريد رجلا يحمل من العلم الكثير حتى يدمغ سفالته بحجة الإسلام القوية، ويقابل سوء أدبه بعرض أخلاق النبي، حتى يبين للناس الفارق بين النور والظلام، وبين الحق والباطل، وقد وجد الناس ضالتهم في أبي يحيى ولذلك أحبوه حبا جما وأحاطوه باهتمامهم حتى ذهبوا لاستقباله عند نزوله من الطائرة، استمر الاحتفاء بأبي يحيى ما يقرب من ساعة كاملة، ومع الإرهاق الشديد الذي كان فيه ولكنه لم يرد أن يظهر لهم هذا وهم الذين تركوا مصالحهم لأجله، وتجاوب معهم في الكلام والاحتفال والسؤال

والجواب باهتمام بالغ، وما إن ركب سيارة أستاذ "صبحى المهدى" المرافق له في هذه الرحلة إلا وأخذ يفكر في هذه الحياة الجديدة التي هو مقبل عليها أو هو فيها بالفعل، فقد أصبح الرجل الآن من المشاهير، وهو يخشى على حياة الشهرة أن تُفسد قلبه وتغير من طباعه، لا شك أن الشهرة لها أضرارها، يخشى أن يتعود على استقبال الناس له واحتفائهم به فإن انقطع أو قل حزن، فيكون عمله للناس وليس لله، يخشى أن يدخل في قلبه الكبر والغرور من تعوده على سماع الثناء عليه، ومهما حذرت الناس من عدم إلقاء الثناء فلن ينصاعوا لهذا، فإذا قابلت ثناء أحدهم بضيق حتى لا يتغير قلبك وأظهرت له أن الله ستر عنه ما لا يعلم ولو علم السرائر ما مدح لقال في وجهك "يا سلام على التواضع الكبير، ربنا يزيدك تواضع يا مولانا" فيزيد ثناءه ثناءً، ولذلك لم يحبذ أبو يحيى أن يتبادل أطراف الحديث مع "صبحي المهدى" وتظاهر بتغميض عينه بينما كان "صبحي" يسوق منشغلا بالقيادة، وبدلا من أن يسلم أبو يحيى نفسه للنوم أراد أن يستعيد نماذج من تواضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعين بها على نزغ الشيطان في قلبه، وكيف أن التواضع من الصفات التي يتحلى بها كل محمود ويتخلى عنها كل مذموم، ولا تجد متواضعا إلا وهو كبير في أعين الناس، ولا تجد متكبرا إلا صغر في أعينهم، ويعامل الله المتكبر يوم القيامة بخلاف مقصده فيحشره أصغر من الذبابة، وذم الله المتكبر في كتابه قال "**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**"([٦٦]) ومن فكر وقدر في حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - لوجد لها عناوين كثيرة، من أبرز هذه العناوين التواضع، ولا أعرف كيف لعمي الأبصار ممن يتهمونه بالكذب أن يتغافلوا عن تواضعه - صلى الله عليه وسلم -، وكيف يستقيم التواضع معه، وكيف لمن استكبر على الله أن يخفض جناحه للناس تواضعا. وقد جعل ذلك الرسول الكريم من التواضع سكنا وثوبا التحف به في تعامله مع الناس، ما

---

([٦٦]) الإسراء ٣٧

عرف عنه ذرة من كبر قط، ابحث إن أردت لن تجد، وأجهد نفسك في البحث فلن تجد، وارجع البصر في أحواله وتعاملاته تجده سمحا متواضعا، ثم ارجع البصر كرتين لن تجد من فطور في شخصيته - صلى الله عليه وسلم -، ولو كان الكِبر بشرا لسل عليه سيفه، وبلغ من تواضعه أن بَيَّن أنه يجهل مصيره ولا يدرى كيف يعامل "والله وأنا رسول الله لا أدرى ما يفعل بي"([٦٧])، وقد يقول قائل: لقد علم بعد ذلك أنه مغفور له. "**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**"([٦٨]) نعم علم بعد ذلك مصيره، ولكن لو كان هو مؤلف القرآن ألم يكن من الأوقع في النفوس والأشد تأثيرا في القلوب أن تنزل هذه الآية في بدايات دعوته حتى لا يُعارض من أحد ويستتب له الأمر؟ فإن ضعاف العقول إذا سمعوه يقول "لا أدري ما يفعل بي" كان هذا حاملا لهم على عدم اتباعه، فالرجل لا يعلم ما الذي سيفعل به فكيف بنا نحن؟ فقد يهلك في النهاية ونحن معه، لكن إخباره بهذا دليل على صدقه وأمانته في النقل، وعلى قدر تشعب علاقاته على قدر انتشار تواضعه، فيتواضع مع كل من يتعامل معه ذكرا أو أنثى، كبيرا أو صغيرا، فيتواضع مع زوجاته، ولك أن تعلم أن مجتمع العرب كان مجتمعا يستحقر النساء ويجد أن مكانها الطبيعي أن تدفن في التراب، ومن مُنَّ عليها بالحياة فليس لها حقوق، أما بعد الإسلام فكان الناس في التعامل مع النساء على مذهبين: مذهب أهل مكة ومذهب أهل المدينة، فكان مذهب القرشيين - وهم أهل مكة - الشدة في التعامل مع النساء، فليس لها حق المشورة وإبداء الرأي، فعلى سبيل المثال هذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول "نحن قوم نغلب نساءنا"حتى لما تراجعه زوجته يقول لها "أتراجعين ابن الخطاب؟"، ومذهب أهل المدينة هو اللين مع نسائهم، وهذا يعرف من قول عمر أيضا "وقوم الأنصار قوم تغلبهم نساؤهم". ومع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرشي ولكنه تمذهب بمذهب الأنصار في هذه القضية واختار لين الجانب والتواضع في التعامل

---

[٦٧]

([٦٨]) الفتح ٢

مع نسائه لأن هذا أرفق بهن وأحب إليه، فيقول "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله"([٦٩]) بل إن نساءه خصوصا عائشة وحفصة يجتمعن عليه ويعقدن الحيل، وهو يقابل هذا بصبر ولين وتواضع، وكانت المرأة منهن تهجره من النهار إلى الليل فيقبل هذا، ليس صبره بصبر المقهور، وإنما صبر القادر المترفع عن البطش، وينزل الخبر على عمر كالمصيبة عندما يعلم أن حفصة ابنته من جملة من تراجع النبي وتهجره، ويتخذ موقفا حادا معها، وهكذا فعل ذلك أبو بكر مع عائشة ابنته، أما النبي - صلى الله عليه وسلم - فأكثر ما فعله أن هجرهن شهرا ([٧٠]).

ومن تواضعه أنه كان يستأذن نساءه - صلى الله عليه وسلم -. نعم والله كان يفعل ذلك، وإن أحدنا ليتحرج أن يقول أنا أستأذن من زوجتى، ولو قالها لأصبح محلا لسخرية السامعين، ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يفعل هذا، فإن كان الاستئذان من حقهن فلا يستأثر بأمر دونهن وإن كان محببا له، ففي مرض موته يحب أن يُمرض في بيت عائشة ليكون آخر عهده بالدنيا عند أحب الناس إليه، فإن كان لابد من الموت فليمت بين يدي حبيبته، فيستأذن باقي نسائه في هذا فيُأذن له، ولك أن تتخيل معي لو لم يأذن نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - له ماذا سيكون رد فعله، لو حدث لكان ردة فعله هي الانصياع والامتثال لهن، ولكان مات - صلى الله عليه وسلم - عند أي امرأة أخرى.

أما مع أصحابه فيكفى دليلا على تواضعه أنه كان كواحد منهم، فما وقفوا على رأسه بالريش ولا تصدر مجالسهم، بل كان الداخل الغريب يسأل "أيكم محمد - صلى الله عليه وسلم -؟" ما كان يحب أن يكون مميزا عليهم، بل كان يظهر ما يستحي أحدنا أن يظهره من ضيق الحال، فيدخل عليه عمر في خزانته فيجد عنده حفنة من تمر، هذه كل

---

([٦٩]) الترمذي ٥/٣٨٩٥

([٧٠]) البخاري ٣/ ٢٤٦٨، ومسلم ٢/ ١٤٧٩

ما يملكه، ويجده ينام على حصير قد أثر في جنبه وترك علامات، ووسادته الليف الخشن، فيبكى عمر لحال حبيبه - صلى الله عليه وسلم - ويقول "يا رسول الله، هؤلاء كسرى والروم وسع الله عليهم وهم على كفر" فيرد عليه الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - قائلا "أمن شك أنت يا ابن الخطاب؟ هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدينا"([٧١]).

وإذا خافه أحد طمأنه وهدأ من روعه، ويقول كلاما يستحي أحدنا أن يقوله، فلما ارتعد أمامه رجل يوم فتح مكة مخافة منه ومهابة له قال"لا تخف. إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة". كانت السيارة تنعطف إلى شارع الطيران عندما تذكر أبو يحيى كيف كان النبي يلبي دعوة العجوز (مليكة) جدة أنس خادمه ويصلى عندها جبرا لخاطرها، فبالله عليك من الذي يأبه لأمر امرأة عجوز من عجائز الدهر؟ هي جدة خادمه، فليست امرأة ذات أهمية كبرى ولا وراءها منفعة مُنتظرة، إلا رجل صاحب خلق رفيع، حتى وهذه عائشة زوجته تكتسب هذه الصفة منه في مجالسة العوام الضعفاء، فتجدها تجالس أمة سوداء، وتسمعها عائشة دائما تنشد:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا  ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

فسألتها عائشة عن سبب إنشادها دائما لهذا البيت من الشعر، فتخبرها الأمة أنها كانت أمة لبعض قبائل العرب الكافرة وهي على دينهم، وتخرج مع ابنة سيدها وعلى البنت وشاح، فتأتى حدأة تعتقد أن الوشاح قطعة من اللحم فتخطفه، فيأتي قوم الصغيرة فيتهمون الأمة بسرقة الوشاح ويضربونها ويفتشونها تفتيشا ذاتيا، وبينما هم على هذا الأمر إذ تأتي الحدأة فتلقى الوشاح بينهم فتتبين براءتها، ولرد اعتبارها يعتقونها، فتمشى هائمة على وجهها حتى تقابل النبي وتسلم([٧٢]). تعلوا على وجه أبي يحيى ابتسامة خاطفة عند تذكره لهذه القصة وكيف أنها تدل على الانبساط والتواضع الذي كان في عائشة،

---

([٧١])نفس المصر السابق

([٧٢]) البخاري ٣٨٣٥/٥

والتي تعتبر بلفظ اليوم هي السيدة الأولى في مجتمعها، نعم فقد تأثرت عائشة في جميع جوانب حياتها برسول الله - صلى الله عليه وسلم -. يفتح أبو يحيى عينيه للحظة لينظر إلى الطريق فيجد الأطفال الأبرياء على جنبات الطريق، فيتذكر كيف كان يتعامل النبي - صلى الله عليه وسلم - معهم حتى أنه ليمر بطفل منهم فيسلم عليه([٧٣]). وهذه سنة خافية اليوم، فلا تكاد ترى أحدا يسلم على الأطفال إلا من رحم الله.

بل إن الأمر يصل برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أن يستأذن من طفل صغير، كان النبي في الوسط عن يمينه غلام صغير وعن شماله أشياخ من أصحابه، فلما انتهى النبي من شربه نظر إلى الغلام وقال له "ائذن لي في أن أبدأ بالأشياخ" فرفض الغلام هذا وقال "والله يا رسول الله - صلى الله عليك وسلم - لا أؤثر بنصيبي منك أحدا" ونفذ النبي - صلى الله عليه وسلم - رأي الغلام الوجيه.

بل ما توقف قطار تواضع النبي عند محطات أصحابه وزوجاته، بل وصل إلى أكثر مما تتخيل حتى يصل إلى محطة أعدائه، نعم كان في أحيان كثيرة يتعامل مع أعدائه بتواضع كبير وهم من عذبوه وسبوه، قالوا ساحر مجنون إلى غير ذلك من أباطيل، رموا على ظهره القاذورات وهو يصلي أمام ابنته فاطمة، قتلوا عمه حمزة، وكانوا السبب في وفاة خديجة أحب الناس إليه، وما تركوا سبيلا للكفر إلا دخلوه، ولا بابا للعناد لم يفتحوه، يقدر عليهم ويفتح مكة وتكون رقابهم أدنى سيفه، ومع ذلك لما يدخل مكة يدخلها خافضا رأسه، فأي قائد عظيم هذا الذي يخفض رأسه يوم رفعتها؟ أرأيت أسدا رحم فريسته التي تعددت عليه مرارا وتكرارا؟

بل يلبي دعوة خياط يهودي على إهالة سنخة([٧٤]).

١- خياط، فليس من رفعة القوم.
٢- يهودي، وهم أشد الناس عداوة له -صلى الله عليه وسلم -.

---

([٧٣])
([٧٤])البخاري ٢٠٦٩/٣

٢- طعام ليس جيدا.
فلا الطاهي ولا المطهي فيهم الطمع، ومع ذلك يلبى الدعوة.
بل من مظاهر تواضعه تعامله مع إخوانه الأنبياء، فهو وإن كان أفضلهم على الإطلاق لأنه سيد ولد آدم ولكن "ولا فخر"، يؤكد عليها وكأنه يتحرج من إعلامه لنا بهذه المعلومة وحتى لا يظن أحد أنها مفاضلة للغرور، ولكنها مفاضلة التبليغ الذي هو مأمور به، ولو أُذن له في كتم هذا الخبر لكتمه، ولكنه ينهى أي مسلم أن يفضله على أحد من إخوانه الأنبياء إن كان الباعث على هذا التعصب والمفاخرة فقال "لا تفضلوني على يونس بن متى"([٧٥]).
بل يفضلهم على نفسه في مواقف معينة، وليس هذا إلا دربا من دروب التواضع عنده فيقول "لو لبثت مثل ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي" أي أن يوسف فاقت قوته كل القوة، لما تأتيه الفرصة أن يخرج من السجن يرفض إلا بعد أن تظهر براءته من الفاحشة، فيأبى الحرية بسمعة ملوثة بالكذب، بل يقول"نحن أولى بالشك من إبراهيم" إشارة إلى قوله "**رب أرني كيف تحيي الموتى**" والمعنى نفي تهمة الشك عن إبراهيم المنسوبة إليه من سوء الفهم والقراءة السطحية للآية، فطلب إبراهيم لربه من باب طلب عين اليقين وليس من باب الشك، فينفى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن إبراهيم هذا ويقول إنه لو جاز لإبراهيم الشك لجاز علي النبي، وهو أبعد الناس عن الشك فما بالك بإبراهيم([٧٦]).
ويقول في حق عيسى "ما من مولود يولد إلا ويستهل صارخا من نزغ الشيطان إلا عيسى"([٧٧])، بل يجعل الرجعة في آخر الزمان لعيسى "يوشك أن ينزل فيكم عيسى حكما يكسر الصليب ويقتل الخنزير"([٧٨]). ولو كان كذابا لجعل الرجعة لنفسه حتى تكون أوقع في

---

([٧٥])فتح الباري ٤١٣/٦
([٧٦]) نفس المصدر السابق
([٧٧]) متفق عليه البخاري ١٣٥٨/٢، ومسلم ٢٣٦٦/٤
([٧٨]) مسند أحمد ٧٢٦٩/١٢

النفس، وهذا ما فعله عبد الله بن سبأ قال "عجبت لناس يؤمنون برجعة عيسى ولا يؤمنون برجعة نبيهم".
ويُسأل "من أكرم الناس؟" فيقول "يوسف"([٧٩])
وعن أفضل الصيام يقول "صيام داود"([٨٠])، ويُسأل "من أول من يكسى يوم القيامة؟" فيقول "إبراهيم "([٨١]).
وأول من يبعث "موسى"
والأصل في الصلاة والبركة في التشهد هو إبراهيم (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وع. . . .) فالأفضل له إن كان لا يقول الحقيقة أن يجعل نفسه هو الأصل في كل شيء في الكرم، والصيام، والكسوة، والصلاة، والبركة. ثم تذكر أبو يحيى كيف برجل كذاب مثل القدياني نزع كل فضيلة عن الأنبياء حتى يكتسب بذلك رفعة عليهم يدارى بها عجزه وضعفه، فتجد في كتب القديانية إهانة للأنبياء والافتخار عليهم ونسب النقائص إليهم، فابن القدياني يفضل أباه على الأنبياء بل ويعيرهم بما كتبه الله عليهم، فيفضل أباه على آدم لأن آدم أطاع الشيطان وخرج من الجنة أما أبوه سيدخل الناس الجنة، ويُعير نوحا بما ليس له فيه ذنب فيقول "أبي أفضل من نوح لأن ابنه كافر، أما أبي ابنه دخل الهداية)([٨٢])، وقاحة في الأسلوب وسطحية في الفكر وجحود في القلب الهدف منه فقط الاستعلاء بالباطل، وهل يضر المؤمن كفر من كفر من أهله؟ ولا تزر وازرة، فهل يلام الجار على تصدع بيت جاره؟ أما رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - كان أبعد الناس عن التعالي على الغير وعن تتبع عورات الناس حتى يكسبه بذلك فضيلة عند الناس.
وما أفاق أبو يحيى من عيشه مع مواقف رسول الله - صلى الله عله وسلم - إلا على صوت أستاذ "صبحي" وهو يقول له "حمد لله على السلامة يا شيخ، قد وصلنا الآن ".

---

([٧٩]) البخاري ٣٣٥٣/٤
([٨٠]) البخاري ١٩٧٦/٣
([٨١]) البخاري ٣٣٤٩/٤
([٨٢]) راجع كتاب الشيخ إحسان إلاهي عن القديانية

ياسمين
كانت قد مرت عدة شهور لم توفر فيها "ياسمين" أدنى جهد في البحث عن شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - في كل وسائل المعرفة المتاحة المقروءة منها والمسموعة، وفى خلال أسابيع عديدة كانت قد تعرفت على هذه الشخصية الرائعة وأصبحت في عداد أسرى المعجبين بها، نعم هي لم تتخذ قرار الإيمان بعد فالإعجاب بالشخصية شيء والإيمان والاتباع شيء آخر، وكل مؤمن محب وليس كل معجب متبعا فقد أُعجب بالشخص وهو من أعدائي لإمكانيات فيه، فقد كان هتلر من ألد أعداء ستالين ومع ذلك كان الأخير معجبا بشخصية الأول، ومن هذا الباب كان إعجاب مايكل هارت صاحب كتاب "الخالدون المئة" بشخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث أنه كان يضع في كتابه الأشخاص العباقرة أو المؤثرين بصرف النظر عن صدقهم من عدمه أو حتى بصرف النظر عن كون هذا الرجل طيبا أو شريرا، فقد قال في كتابه "لي أن أؤكد أن هذه لائحة لأكثر الناس تأثيراً في التاريخ، وليست لائحة للعظماء. مثلاً يوجد مكان في لائحتي لرجل مؤثر بشكل كبير، شرير، وبدون قلب مثل ستالين، ولا يوجد مكان للقديسة الأم كابريني" وشخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - لابد أن يُعجب بها كل من قابلها أو سمع عنها من مصادرها الخالصة سواء سلم له أم لا، وحتى وقت قريب كان إعجاب "ياسمين" بشخصية النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذا الباب، أما الآن فهي لم تعد تعلم هل دخلت إلى باب الإيمان أم ليس بعد أم أنها لن تدخله أبدا، تجد في قلبها ميلا كبيرا إلى تعاليم الإسلام وإن لم تنطق بالشهادتين أو تركع ركعة لله، ولكنها أصبحت في حالة غير التي كانت عليها قبل شهور، ومع كل يوم يمر يزداد قلبها ركونا إلى الإسلام، وكانت بجانب حائر في سريرهما وهو بين النوم واليقظان عندما نطقت اسمه استكشافا لحالته
-حائر .... حائر.
"أيوة يا ياسمين" نطقها بصوت يغلب عليه النوم بغير أن يفتح عينه.
-هو إيه اللى بيخليك تكره محمد أوى كدا؟

"محمد مين يا ياسمين؟" وقد ابتدأ حائر في اليقظة بعض الشيء لغرابة الكلام،
ولم يكن يعرف من الذي تعنيه "ياسمين".
"الرسول محمد يا حائر" كانت الجملة الأخيرة كفيلة أن تطير النوم من عيني حائر، فقد شعر بالتغيير الطارئ على "ياسمين" منذ شهور، ولكن لم تأته الجرأة لمفاتحتها في هذا الموضوع حتى لا يفتح على نفسه بابا لا يريد فتحه، ووجد أن أقرب طرق الحل هي تجاهل الموقف، ولم يكن أيضا بالشخص المتسلط الذي يمنعها من البحث والاطلاع واختيار ما تريد، فهما شخصان حرا التفكير لا يقبل أي منهما تسلط الآخر عليه في رأيه وانحيازاته الفكرية.
-إنتى مصحيانى في الوقت دا يا ياسمين عشان نتكلم في موضوع زي دا؟
كانت هذه الجملة استكمالا من حائر لأسلوب التجاهل في التعامل مع "ياسمين" فيما يخص هذا الموضوع.
-هو فيه موضوع أهم من دا ممكن أي حد يتكلم فيه؟
هنا استدار لها حائر، وعلم أنه لابد من المواجهة، وأن التجاهل لم يعد نافعا.
-وكيف ذلك؟ حبيبتى، هذا موضوع ثانوي في حياتنا.
-ألا ترى حبيبى أن معرفة الحق من الباطل واتباع الحق أمر لا أهم منه؟
-الإسلام لا يمكن أن يكون حقا، وما كان عليه محمد باطل لا شك في ذلك.
-أنت تقول ذلك حبيبي لأنك لم تتعرف عليه حقا.
"هل دخلتِ الإسلام يا ياسمين؟" قالها حائر بصوت يملأه الريبة.
-لا يا حبيبي، أنا لم أفعل، ولكن أقصد أن شخصية محمد شخصية مبهرة لابد أن نرفع لها القبعات إجلالا واحتراما حتى وإن اختلافنا معها.
-أنا لا أرى ذلك، وأرى أنها شخصية دمرت العالم ونشرت الدماء، مصلحته مقدمة على كل المعاني الإنسانية، يزن المواقف بميزان

المصلحة، ويقرب من الرجال أكثرهم فائدة له، ويقدم من التنازلات بقدر ما يجلب عليه ما يرجوه، يتخذ من نبوته المزعومة سلعة يروجها لينفقها، فإن وجد من البشر من يروج له سلعته مقابل صفقة معينة لا يتردد في الموافقة، فأمله الوصول إلى هدفه تحت أي ظرف من الظروف ومقابل أي شيء، هدفه المصلحة الشخصية والمكسب السريع ولا يهم ماذا سيكون غدا وماذا سيحدث بعد موته، فلا يحمل هم يوم ليس موجودا فيه.

"أعطني مثالا" قالتها "ياسمين" ويعلو وجهها ابتسامة.

"مثالا على أي شيء؟" قالها متلعثما.

"أعطني مثالا على ما قلت" قالتها باستغراب

-لا يحضرني مثال الآن.

علا صوت ضحكة "ياسمين" وطال وقتها بطريقة استفزت حائرا وظهر الغضب على وجهه، فحاولت "ياسمين" أن تبدى بعض التوقير لحائر الذي كان موقفه في غاية الصعوبة أمامها وقالت:

-حائر، أنا لا أقصد إغاظتك ولكن أنت تُكيل التهم بغير دليل عندك، كلام محفوظ ترددده، وإن كنت أبدي إعجابي بطريقة كلامك المؤثرة، ولكنها للأسف لم تؤثر فيَّ هذه المرة؛ لأن محمدا أبعد الناس عن ما تقول، فلم يكن يستغل المواقف أبدا إلا استغلالا مشروعا، ولذلك كانت تعرض عليه الصفقات الكبرى التي من شأنها لو عقدها أن تحقق له انتشارا واسعا وسريعا ووصولا إلى الناس بغير عناء ومنعة من أعدائه المتربصين به، ولكنه كان يقابل الصفقات السرية هذه بالرفض التام؛ لأن أصحاب هذه الصفقات لا يهمهم نشر الدعوة بل يهمهم مصالحهم الشخصية، فلم يكونوا أصحاب فكر بل أشخاصا انتهازيين، ففي أكثر من موقف كانت تُعرض عليه النصرة وأن تُنحر الرقاب دونه أمام العرب في مقابل أن يعهد لمن نصره بالنبوة من بعده، وأؤكد على هذه الجملة أن تكون لهم النبوة من بعده، فالعرض ليس عرضا لمشاركته النبوة ولكن أن يخلف لأحد بالنبوة من بعده، وكانت هذه المحاولات تقابل بالرفض.

-وما يعني هذا؟

- يعني لو أن محمدا لم يكن شخصا صادقا وكان انتهازيا كما تقول أنت لمَ لم يقبل بهذه العروض؟ فهذه عروض لا ترفض خصوصا أن بعضها عرض عليه وهو في غاية الضعف، فكان يطوف على الناس وحده ويقول "أيها الناس، قولوا لا إله الا الله تفلحوا"، فمنهم من يتفل على وجهه، ومنهم من يحثوا على وجهه التراب، ومنهم من يسبه حتى ينتصف النهار، فتأتيه زينب ابنته بماء ليغسل وجهه من أذى الناس فيقول لها مخاطبا في قوة "يا بنية، لا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلة"، وكان أبو جهل وأبو لهب يتناوبان الأذى عليه، فكان الأخير يتبعه في كل مكان يذهب إليه ويقول "لا تصدقوه إنه صابئ كاذب"([٨٣]). وفى هذه الأثناء الصعبة والظروف القاحلة أراد محمد البعض أن يقتنعوا بدعوته ليحققوا له الحصانة ممن يؤذيه ويتبعهم الناس إذا أسلموا، ووقع الاختيار على قبيلة بنى عامر، هذه القبيلة القوية صاحبة البطون المتفرعة عزيزة الجانب، لم يعهد عليها سبي لنسائها ولا دفعت إتاوة لغيرها، ومن بطونها: بنو كعب وكلاب ونمير. وقيل فيها بيت جرير المشهور:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وبالفعل اصطحب محمد أبا بكر صاحبه، وذهب إلى بني عامر، وعرض عليهم دعوته، واقتنع رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس بشخصية محمد المؤثرة، وعلم بفطنته أنه منصور في يوم من الأيام لا محالة حتى قال "والله لو أخذت ذلك الفتى لأكلت به العرب" أي أنه لو اتبع محمدا لساد العرب به، لكنه ساوم محمدا وعرض عليه صفقة.

حائر: وما هي هذه الصفقة؟

ياسمين: هذه الصفقة كانت تنص على أن يعطى بجرة النصرة لمحمد مقابل أن يجعل له محمد النبوة من بعده فقال له "أرأيت إن نحن تبعناك أتجعل لنا الأمر من بعدك؟" وهنا كان على محمد إن لم يكن صادقا وكان مستغلا كما قلت أن ينتهز هذه الفرصة ويقبل هذا العرض الرائع، فمعه الآن أقوى العرب، سيجعلونه سيدهم إن قبل،

([٨٣]) السيرة النبوية لعلي الصلابي ٣٤٨/١

وتكون رقابهم دون رقبته وسيوفهم قبل سيفه في ساحة النزال وأجسامهم أقرب للقبر من جسده وقت القتال، وهم لا يطلبون منه شيئا على التعجيل، إنما هذا بعد موته فلن يخسر شيئا في حياته، وعلى أسوأ الظروف ما الذي يجعله لا يعطيهم العهد ثم بعد ذلك إذا جاء وقت التنفيذ فليخلف معهم وعده؟ ولكن مع حاجة محمد الملحة لأرض خصبة للدعوة وقوة العرض وزخرفته كان رده حاسما وقاطعا بالرفض، فقال له "إن الأمر لله يضعه حيث يشاء"

حائر: وما كان رد بحيرة عليه؟

-قال له "أفتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك"([٨٤]). رفضوا دعوته لأنهم لم يتدربوا بعد على الإخلاص، وهذه النوعية لا تنفع رجلا مثل محمد ولن يحققوا له غرضا ولن يُنجزوه بمطمع، وقد عرض عليه هذا العرض أيضا من مسيلمة ولكن في أخريات حياته هذه المرة، قال له مسيلمة "لو شئت خلينا بينك وبين الأمر ثم تجعله لنا من بعدك" فقال له محمد "لو سألتني هذا القضيب - وكان في يديه عصا - ما أعطيتكه"، ثم أرسل مسيلمة إلى محمد رسالة يقول فيها "من مسيلمة إلى محمد رسول الله. السلام عليك. أما بعد فلكم نصف الارض ولي نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون"، فكتب محمد له "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)([٨٥])، وهنا لو أراد محمد أن يتقي شر مسيلمة لداهنه لكنه لم يفعل، ورد عليه بكل حزم، ولم يخش بأسه الذي كان سببا في مقتل كثير من قراء الصحابة بل كان سببا في هزيمة المسلمين مرتين متتاليتين قبل مقتله في المرة الثالثة بقيادة جيش خالد بن الوليد، فما رأيك الآن يا زوجي العزيز؟ ألا ترى أن محمدا لم يكن بالشخصية التي في بالك أبدا؟

- حبيبتي، أنتِ فكرك بسيط جدا، محمد إنما لم يقبل هذه العروض لأنه كان يدخر هذ المكان لأحد هو يختاره، فإن كان عرضها أصحابها من

---

([٨٤]) السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٢/٢

([٨٥])البداية والنهاية لابن كثير ٧٢/٥

قبيل المصلحة فهو رفضها أيضا من قبيل المصلحة، كان يدخر هذا المكان لمن يراه هو الأقرب له، شيء يقارب نظام توريث الحكم في النُظم الديكتاتورية حتى يضمن أن ملكه سيدوم مع من يُكِنُّ له الولاء وأن اسمه سيظل مرفوعا.

-حبيبي، أنا أرى أن كلامك بعيد كل البعد عن الحقيقة وأن محمدا بريء مما تقول، وما تفوهت أنت بهذا الكلام بناءً على معلومات دقيقة بل على حقد دفين تكنه لهذا الرجل، بل إن المعلومات المتوفرة بين أيدينا لتناقض مفهوم ما قلته، فيكفى لهدم ما قلته أنه قال "نحن - معاشر الأنبياء - لا نورث درهما ولا دينارا" وهذا هو المنطوق، وزد أنت في المفهوم: ولا ملكا، ولا خلافة، ولا نبوة. وهذا ما حدث، فلم ينتفع ورثته من بعده منه بشيء من حطام الدنيا، وهذا أعظم دليل على صدق الرجل، فقد أغلق الباب على كل من تعرض له شبهة بأنه ادعى النبوة لأجل مكسب ما، فلم يعط أقرب الناس إليه شيئا قط بعد موته، وقد دربهم على ذلك وهيأهم في حياته، وكان من المنطقي والعقلي - إن كان كلامك صحيحا - أن يوكل الخلافة لعلي من بعده أو لعمه العباس، ولعلي بالأحرى حتى تنتقل الخلافة من بعده للحسن والحسين أحب الناس إلى قلبه على الإطلاق، كما فعل ذلك عبد البهاء فإنه نقل النبوة المزعومة لابنيه على التوالي، كان له ابنان: الأول اسمه عباس أفندي وكان يطلق عليه الغصن الأعظم، والثاني محمد علي وكان يطلق عليه الغصن الأكبر. فلم يحرمهما من شره، فجعل الخلافة فيهما من بعده قال "وقد اصطفينا الأكبر بعد الأعظم أمرا من لدن عليم خبير"([٨٦]). والقدياني جعل ابنه خليفته من بعده، وأصبح هذا الابن الخليفة الثاني بعد أبيه، لكن محمدا لم يفعل ذلك، فما جعل النبوة ولا حتى الخلافة في أحد من عقبه، وعليٌ كان يفهم هذا من محمد، فقد جاء في الحديث أن العباس قال لعلي "**إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي وُجُوهِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمَوْتَ فَاذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسْأَلَهُ فِيمَنْ يَكُونُ الْأَمْرُ فَإِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ وَإِنْ**

([٨٦]) كتاب البهائية للشيخ إحسان رحمه الله

**كَانَ فِي غَيْرِنَا أَمَرْنَاهُ فَأَوْصَى بِنَا قَالَ عَلِيٌّ وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ - اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَمْنَعُنَا لَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ أَبَدًا وَإِنِّي لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبَدًا"**([٨٧])

وبالفعل لم يسم محمد أحدا بعينه للخلافة، ولكن كانت هناك إشارات متجهة نحو أبي بكر في تقديمه للصلاة وأشياء أخرى معروفة، ولم يوص بالخلافة حتى بعد أبي بكر أو في وقت من الأوقات لأحد من أسرته، وفى الأموال أيضا قال **"ما تركناه صدقة".**

حبيبي، أي كذاب هذا الذي يحرم أسرته من الانتفاع من خيره وماله؟ لا شك أنه ليس كذابا.

-ياسمين، ألا ترين أنك أصبحت تتكلمين مثل منذر؟ هل تفكرين في الإسلام؟

- في حقيقة الأمر أنا لم أفكر حتى سمعت منك الجملة الأخيرة، فما الذي يمنعنا من الدخول في الإسلام بعد كل هذه الحقائق التي تتكشف لنا كل يوم؟ على الأقل حبيبي دعنا نتحقق من الأمر نعطي أنفسنا مهلة للتفكير الجيد و. . .

-ولكن أنتِ بذلك تهددين حياتنا بالانهيار.

-لا بأس أن نهدم حياة قائمة على الأكاذيب ومعاداة رجل قد يكون نبي الله حقا، ونبني بعدها حياة جديدة صافية نكون أنا وأنت فيها وأولادنا الذين سيأتون.

- كل هذا من الملعون الذي يسمى منذرا، أنا لابد أن أقطع علاقتي به، النقاشات التي كانت تحدث أمامك هي التي دمرت عقلك.

-أنا لست طفلة. ومنذر ما هو إلا كشاف أضاء لي مناطق لم أكن أراها من قبل. ما المانع يا حائر أن نتبع الحق؟ وما هذا الكبر والعند الذي فيك؟ اسمع، إن أخذت قراري بدخول الإسلام فلن يمنعني أحد

---

([٨٧]) البخاري ٦٢٦٦/٨

قط مما سأفعل، وأنا أؤكد لك أنى أحبك وأتمنى أن تكون بجانبي فيما أختار.

الفتنة

لم يمض على رجوع أبي يحيى سوى ثلاثة أيام إلا وقد شعر أنه أصبح رجلا مختلفا عن الرجل الذي قد كان يدافع عن قلبه العجب والغرور، كانت كلمات الثناء تطلق على أذنيه لتنفذ إلى قلبه تلقائيا ويجد لها أثرا بالغا على إخلاصه، وكان يُسر في نفسه السعادة بكلمات الثناء وإن أظهر الإنكار على من أثنى عليه، وقد رجع توا من بيت عمه وحماه بعد أن أوصل "هداية" زوجته إلى هناك بناء على طلبها لتراعي أمها المريضة يومين ثم تعود إليه، ولم يكن أبو يحيى يرفض لـ"هداية" طلبا أبدا خصوصا الطلبات المتعلقة بأبيها وأمها، فهي تجد فيهما عوضا عن فقدان الولد، غير أنهما رحم أبي يحيى أيضا، وجد نفسه وحيدا في بيته وقد فقد الشهية لأي عمل روتيني يقوم به، فليس مهيئا للقراءة ولا لمشاهدة فيديوهات من يهاجمون الإسلام، ونظر في ساعته ووجدها الحادية عشر مساءا، وقت ممتاز لقيام الليل لكن أيضا لم يجد في نفسه تشوفا إلى القيام كما كانت عادته، وحقيقة الأمر هذا هو شأنه منذ عودته من رحلته، وقد انتفض أبو يحيى من نغمة هاتفه ونظر فإذا هو رقم مدام "إلهام" جارته.

يا للإحراج، إنه قد وعدها أن يتصل بها فور رجوعه لكنه نسى، وهي جارته لها حق الجوار عليه، وهذا أول طلب تطلبه منه، وقد خذلها أولا بسفره وخذلها ثانيا بعدم الوفاء بعهده.

رد أبو يحيى متظاهرا بعدم معرفته للرقم.

-من معي؟

-أنا "إلهام" يا شيخ جارتك.

- أهلا مدام "إلهام" كويس إن حضرتك اتصلتى، رقمك ضاع مع الأرقام التي ضاعت من على هاتفي لما سُرق في الولايات المتحدة،

ومنذ الرجوع وأنا مش بشوفك عشان أعرف أقدر أساعدك بإيه، آسف، آسف جدا.

يكذب أبو يحيى، فلم يُسرق هاتفه ولم يضع رقم "إلهام"، إنما كان مبررا لعدم إحراجه أمامها، وقد تعجب من نفسه لسلوكه طريق الكذب، ذاك الطريق الذي لم يتعود عليه من قبل.

-لا عليك يا شيخ وآسفة إني بتصل في وقت متأخر زي دا لكنى أنا لسة شايفاك طالع البيت من غير "هداية" اطمأننت إنك صاحي وفى نفس الوقت زوجتك مش موجودة في البيت حتى لا أسبب لك أي إحراج.

-مفيش إحراج ولا أي حاجة كلي أذان صاغية إتفضلى.

-حياتي مع محمود أصبحت جحيما، لم أعد أحتمل العيش معه، ولولا أدهم لطُلقنا منذ سنين، وقد أجبرته على هجر البيت منذ أسبوعين، وهو يداوم الاتصال بي للعودة وأنا لا أستطيع المعاودة، نعم أنا لا أحرمه من رؤية أدهم فهو يراه حيثما شاء ووقتما أبيح له، لكن لا أستطيع العودة كزوجة، لا أستطيع.

-وما سبب المشاكل؟

-أنا لن أكذب عليك، هو يعاملني بكل لطف ولكن أنا سبب المشاكل.

- جيد أن تعترفي بذلك، نصف المشكلة قد انتهى، بقي أن تغيري من نفسك وتصلحي منها لتوافقي زوجك في حياته.

- لا أستطيع.

-لمَ لا تستطيعين؟

سادت لحظات صمت عند "إلهام" وكأنها متحرجة من قول ما تريد قوله، وأحس أبو يحيى بهذا فقال مشجعا إياها:

"لا تخشي من شيء ولا تستحي منه، فأنا متفهم لأي شيء ستقولينه" كانت كلمات لها وقع حسن على "إلهام".

- أنا متعلقة برجل غير محمود، وهذا هو سبب المشكلة.
- ياه، وهل هو يعرف هذا؟
- لا بالطبع ولكنه يستشعر الجفاء من ناحيتي، أنا لم أعد أرى في حياتي غير هذا الرجل، فهو في مخيلتي دائما وأبدا، إذا جلست أنا ومحمود نأكل لابد أن أتخيل أنى آكل معه حتى أستشعر للطعام لذة، وإذا خرجنا سويا أشبك يدي في يده هو وليس في يد محمود، أضحك معه وأتكلم معه هو، أنا لم أتزوج محمودا عن حب، وتعرفت على هذا الرجل من على بُعد بعد زواجي بمحمود، وتعجب إذا عرفت أنى لم أتكلم معه أبدا في حياتي سوى كلمات عديدة، ولكن هذا هو القدر.
-أنا آسف لسماع هذا الكلام خصوصا أن الموقف صعب ولكن لي سؤال: لمَ أتتك الجرأة لتصارحيني بمثل هذا الكلام؟
-لأنك أنت هذا الرجل، نعم أنت هذا الرجل الذي أراقبه منذ سنين في الخروج والدخول، أتبعك حتى في المسجد، لا أعرف لماذا ولكن أرى فيك أنت فارس أحلامي.
نزل كلام "إلهام" على أذن أبي يحيى نزول الصواعق المتتالية، ولجم لسانه وذهب عنه تركيزه، وأحس أنه في دوامة، أو أنه في حلم ولابد من الإفاقة بعد قليل، إنها جارته التي لم يلاحظ منها أي شيء قبل هذا، ولم يحدث بينهما حديث يجمعهما قبل الليلة، وكلامها خطير يمس شرف رجل له عليه حق الجوار، فالذنب أعظم، وبالرغم من هذا كله وجد أبو يحيى ملذات لسماع كلام "إلهام"، نعم هو لم يجاوبها فيما تكلمت، لكن أحب الكلام واستكان له بكل طمأنينة، وظلت "إلهام" تتكلم لمدة الساعة تقريبا بغير أن يزيد عن همهمات وصوت نفس حتى يؤكد لها أنه ما زال يستمع، ثم فجأة انقطع صوتها وطرق باب شقته وكان الوقت متأخرا جدا في حدود الواحدة صباحا، استأذن أبو يحيى من "إلهام" على ضيق منه لانقطاع الحوار ولكنه لم يجد منها جوابا، ذهب إلى الباب ليفتحه على أمل أن لا تكون زوجته ليكمل الحوار معها بعد ذلك، وإذا بالمفاجأة بعد فتح الباب، يا إلهى

إنها "إلهام" نعم هي كل هذه المفاجآت في يوم واحد بل في ساعات قصيرة.
وجدها أمامه بشحمها ولحمها، وكان النور خافتا ولكن ضوء وجهها أضاء المكان، كانت ساحرة بكل المقاييس، ورائحة عطرها - التي تخيل أنها فاحت في الشارع بأكمله - رائعة، لم يتحرك أبو يحيى من مكانه، وأصبح والمسمار متشابهين في ثباتهما، وما انتبه إلا بعد أن ارتمت "إلهام" في أحضانه، ولم يبد أبو يحيى أي مقاومة، فكأن الفتنة أكبر من إيمانه.

obeikandl.com

لا يحكم بعلمه

أصبحت "ياسمين" أسيرة شخصية النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأصبحت على شفا الإيمان بنبوته، فقد علمت من خلال قراءتها وبحثها عن هذه الشخصية الكثير من المميزات فيها، وكان أكثر ما تلاحظه في هذه الشخصية وتعجب به وتؤكد أنه نبي يوحي إليه أن هذه شخصية تحترم القانون والأصول، قانون الوحي والشرع فقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - أحيانا يجد ما يتمناه أو ما هو مقتنع به مصادم لقانون القرآن، فتجده يترك ما هو مقتنع به ويسير على وفق كتاب الله، ولو كان محمد مخترعا للقرآن لما وُجد خلاف في الأصل ولطوع القرآن لمراده، فكيف يختلف الإنسان مع نفسه ومع أصله الذي وضعه؟

ولقد قرأت "ياسمين" في السنة بعض القصص التي دعمت عندها هذا المفهوم عن محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد قرأت قصة "الولد للفراش"

وتبتدئ القصة عندما يحتضر عتبة بن أبى وقاص فيوصى أخاه سعدا بغلام قد أنجبه -كما يزعم - من أمة (لزمعة) - أي أنه زنى بهذه الأمة وأنجبت ولدا هو في الأصل ولد عتبة لكنه أُلحق بزمعة -، مات عتبة وكذا زمعة، واختصم في الغلام سعد وعبد بن زمعة أي أخا هذا الغلام الذي عليه الخلاف، فذهب سعد بن أبي وقاص إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يريد ابن أخيه محتجا بالشبه الكبير بين الغلام وبين أخيه، وعبد بن زمعة يتمسك بأخيه لأنه ولد من أمة أبيه، فحكم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالولد لعتبة وقال "الولد للفراش، وللعاهر الحجر. واحتجبي منه يا سودة" ([٨٨])، وهنا ظن النبي الغالب أن الولد ابنٌ لعتبة، وهذا بدليلين:

١- الشبه الكبير بين الغلام وبين عتبة كما جاء في الرواية.
٢- أمر النبي لزوجته سودة بنت زمعة أن تحتجب من الغلام.

([٨٨]) البخاري ٢٠٥٣/٣

ومع هذا التأكد من النبي أو على الأقل الظن الغالب لكنه حكم به على وفق قاعدة الشرع وليس على وفق ما رآه، وهي أن الولد لأبيه الظاهر الذي يبقى مع أمه مدة يصح أن يكون فيها حمل، فلا نأخذ منه ولده بمجرد ادعاء شخص آخر، وهذا هو معنى (الولد للفراش) أي لصاحب الفراش الذي وُلد عليه ذلك الولد.

وكقصة هلال بن أمية عندما يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتهم زوجته –أي زوجة هلال – بالزنا مع شريك بن سحماء، فيقول له النبي "البينة أو حد في ظهرك" فقال هلال "والله لينزلن الله ما يبرئ به ظهري وتنزل آيات التلاعن "**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ**"([٨٩]) فيتلاعن الزوجان، وتأتي المرأة في المرة الخامسة فيقولون لها "انتظري فإنها موجبة" أي موجبة للعنات، فتسكت بعض الوقت كأنها تراجع نفسها ثم تتمسك بموقفها وتقول "لا أفضح أهلي سائر اليوم" وتمضي على ذلك، فينظر إليها النبي وهي مدبرة فيقول "انظروا إلى الولد، فإن جاءت به **أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ-كبير - الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ**"

وتأتي المواصفات على وفق ما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول معلقا "**لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**"([٩٠]). يعنى لولا سبق حكم القرآن فيها لرجمها، فالتلاعن حجب عنها العذاب الدنيوي. وهنا سؤال: أي شخص هذا الذي يحترم قواعد يعلم إنها كاذبة؟ يترك امرأة قد عملت على خداعه وأرادت التلاعب به لأجل قواعد يعلم أنها محل افتراء؟

---

([٨٩]) النور

([٩٠]) البخاري ٦/٤٧٤٧ "!ح العينين# "4 ا45ا ئعا, 0,12 /ينير. -,+ا)* الا(ح )' &% ا!ئحال (-ا67 الأليئين# "4 / :ي898ا (;=> الساقين# "4 <ين89ا "/,0 ا?عبر,+ ٦/٢٤@

بل عندما يفتح مكة يبيح دماء بعض الأشخاص كانوا عملوا على إيذائه والصد عن سبيل الله، من بينهم عبد الله بن أبى السرح، وعبد الله كان من كتاب الوحي وارتد، فلما فتح النبي مكة اختفى عبد الله في بيت عثمان وهو أخوه من الرضاعة، ثم ذهب مع عثمان ليبدي ندمه ويقدم اعتذاره إلى محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأراد عبد الله مبايعة النبي والنبي يرفض ثلاث مرات متتالية، وتحت إلحاح عثمان وعبد الله قبل منهما، فلما مضى الرجلان التفت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الصحابة وأنكر عليهم كونهم لم يقتلوا ابن أبي السرح.

قال الصحابة "نحن لا نعلم ما في نفسك، هلا أومأت إلينا"

فقال "**لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**"([٩١]).

سبحان الله، كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يتمنى أن يقوم أحد بقتل ابن أبي السرح لكن لم يفعل أحد لأنه لم يأمر صراحة بهذا، ويترك مقتل الرجل الذي طالما آذاه لمجرد أنه لا يريد أن يغمز لأن قواعد الشرع تمنع الأنبياء من هذا الفعل البسيط.

سبحان الله، أي شيء تصنعه غمزة في إنزال مقدار الرجال لاسيما في عرف من حوله من الرجال؟ فلو فعلها ما انتقصه أحد من أصحابه، ولكن لم يفعلها لأنه لا يمشي بأهواء الرجال، إنما يتبع قواعد وأصول الشرع، كل هذا وغيره جعل "ياسمين" تتأكد من نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وقررت إعلان إسلامها. ولكن هذا يعني فراقها عن حائر، ولكن أصبح حبها للحق الذي هداها الله له أكبر من حبها لحائر، نعم تتمنى من أعماق قلبها أن يسلم معها وأن تكمل معه مشوار حبهما في الهداية كما كانوا قبل على ضلال، ولكن كيف السبيل إلى هدايته؟

---

([٩١]) راجع شرح السنة للبغوي ٤٢/١١

التغيير

أصبح أبو يحيى بعد وقعته مع إلهام رجلا مختلفا، نعم لم يظهر هذا التغير أمام الناس، ولكنه في قرارة نفسه يعلم أنه أصبح رجلا آخر غير الذي كان، فقد كشفت الواقعة الغطاء الذي كان يستره وأصبح عاريا تماما أمام نفسه، أصبح عاريا عن تدينه ومبادئه، وما كان يزيد عليه الضغوط وإحساسه بالتوهان أنه كان مجبرا على إلقاء المحاضرات الدينية أمام الناس؛ فقد بات مشهورا بهذا، فهذا دوره الذي تفوق فيه، فكيف يتخلى عنه؟ غير أنه يحقق له شهرة وإحساسا بذاته، ولكنه بات يقول كلاما غير مقتنع به، ولم يكن عدم اقتناعه بالكلام إلا نتاجا عن عدم اقتناعه بنفسه، فقد أصبح يتهم نفسه بالنفاق، فواقعة "إلهام" هزمته نفسيا ودينيا، فقد الثقة في نفسه وفي كل من يسمعه من الوعاظ والدعاة، كان أحيانا يحضر الدروس الفقهية والعلمية لغيره من كبار المشايخ وعلماء الإسلام، ولكنه كان يستمع لهم بنصف أذن، وكان كلما سمع أحدهم اعتقده مثله وأنه لابد أن يكون له "إلهام" الخاصة به، فهم مجموعة من المنافقين والفسقة المستترين في نظره، بل قد فقد الثقة حتى في النصوص التي يقرأها ويرددها أمام العامة، يقتنع بها الناس من طريقته وأدائه وهو غير مقتنع، تُمثل عندهم مبادئ راسخة وأصولا لا يمكن الانهزام عنها، وفى قرارات نفسه يسخر منها ويستهزأ بها، نعم فقد أصبح أبو يحيى منافقا خالصا، ولا تستبعد الارتداد عن أحد مهما علا شأنه في هذا الدين ومهما بلغت مكانته، فهذا بلعم بن باعور، ذلك الرجل الذي كان من أولياء الله الصالحين وكان من المقدمين في العلم والدين عند بنى إسرائيل، وبلغ من مكانته أن الله أطلعه على اسمه الأعظم، وما كان من شأنه بعد ذلك إلا أن ارتد عن دين الله حتى ضرب الله له مثلا في كتابه العزيز بالكلب قال الله فيه "**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ**

**الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"**([٩٢])، وهذا هو حال أبي يحيى الآن، انحرف تماما إلى أهوائه فأصبحت "إلهام" ليست مجرد موقف طارئ ولا قصة عابرة، بل إنها أصبحت عشيقة له، ليس هي فقط بل كل امرأة يقابلها يراودها عن نفسها على حسب ما تقتضيه الظروف المحيطة وإقبال المرأة عليه مراودة مباشرة أو غير مباشرة، وبطبيعة الحال ومع مرور الوقت أصبح أبو يحيى يدعو إلى نفسه هو وليس إلى الله، يتخذ من دعوته مكسبا ومتجرا وطريقا يتوصل به إلى النساء، وكان كل يوم يترنح ويتدنى عن سابقه، وفي حقيقة الأمر لم يكن أبو يحيى مطمئنا بهذا، بل كان يستحقر نفسه بين حين وآخر، وكما قلنا القصة عنده جاءت من انعدام الثقة في نفسه فانطبعت على الدين وعلى الشرع وعلى سيدنا النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي في ما مضى كان يدافع عنه بكل ما أوتي من قوة، واستشعرت "هداية" هذا التغير على زوجها، نعم لم تفهم حقيقة ما أصابه ولكنها استشعرت التغير في كل مواقفه معها حتى طريقة كلامه قد طرأ عليها تغير، ونبرة صوته أصبحت مشاغبة وتعلن التمرد على كل شيء، لم تعد تلك النبرة الهادئة، لم يكن بينهما حوار صريح يدور على حقيقة الأمر، إما لأن الوقت لم يسمح، أو لأن "هداية" لم تكن تملك حقيقة ملموسة أو دليلا ماديا ترتكن عليه وتفهم به ما يدور في خلد زوجها، ولكنها شعرت وأحست بكل ما يدور وإن لم تصنفه.

وكان أبو يحيى إذا صلى بالناس انشغل الناس بربهم وانشغل هو بهمومه ونزواته، يفكر في "إلهام" وفي غيرها في الركوع والسجود، وبدلا من أن يفكر في عظمة ربه كان يسبح بحمد النساء، وبدلا من أن ينزه ربه كان يدنس نفسه بالمعاصي والآثام، ونتيجة طبيعية لما فيه كان كثير النسيان في الصلاة، وأحيانا يزيد في الصلاة وأحيانا يقصرها، وكثر عنده سجود السهو، نعم لم يكن قدحا في أحد أن ينسى فإن رسول الله نسي في صلاته ولكن أبو يحي نسي لأنه منشغل عن ربه، أما رسول الله نسي في صلاته لأنه كان منشغلا بربه، فنسيان

---

([٩٢]) الأعراف -١٧٥

النبي - صلى الله عليه وسلم - نسيان ناتج عن تعلقه بربه ودليل على حبه له، وهو مختلف تمام الاختلاف عن نسيان أبي يحيى الذي كان دليلا على وقاحته. كان الشيخ المفتون يزداد وقاحة يوما بعد يوم، وكان يترنح بين الكفر والإيمان، وارتكانه للكفر أكبر، والإيمان عنده في طي النسيان أو معدود في الذكريات، وأصبح كالجسر الذي يمر الناس عليه إلى الأمان ومصيره هو إلى السقوط، وبعد أن كان يرتمي بين يدي الله أصبح يرتمي في أحضان المومسات نزوة بعد نزوة وقصة بعدها قصص، فهل إلى مرد من سبيل؟ وبعد أن كانت الدموع قديما تنزل من الشوق جفت منابعها ولم يذرفها إلا تصنعا، فهل سيبقى على طغيانه أم أن الله سينجيه؟

obeikandl.com

الفراق

عادت "ياسمين" إلى البيت متأخرة في هذا اليوم الذي لن يصبح يوما عاديا في حياتها مع حائر، فقد أتت بغير القلب الذي خرجت به، فقد عزمت على الاستسلام لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - وأصبحت موقنة بصدق محمد - صلى الله عليه وسلم -، فما المانع إذن من إعلان هذا؟ ولم يكن هناك غير إشكال واحد هو حائر، فمعنى ذلك أنه لن يصبح زوجها إن صمم على موقفه، بل هو بالفعل من اللحظة الراهنة ليس بزوجها، الرجل على غير دينها التي اختارته لنفسها، يختار طريقا لنفسه غير التي تهواه وتحبه، ولم يكن عندها الأمر يقبل الموازنة فهي لا تقدم شيئا على الهداية وعلى طريق الحق، ولكن ما يوجع قلبها أن حائرا لن يكون معها في هذا الطريق، فهي تحبه بكل إخلاص ولا تتخيل أن يكون بعيدا عنها خصوصا بعد سنوات الحرمان منه، هل سيراجع حساباته إذا علم بالأمر وأنه لا "ياسمين" بعد اليوم إلا بإسلامه، لا تعتقد ذلك؛ فإن حائرا عنيد وهذا الأمر سيجعله أكثر عندا، سيعتقد أن الأمر قهر فيزيد تصميما على طريقه الخاطئ، إذن هو الفراق بلا رجعة، ولكن هل ستصبح الدنيا جميلة بغير حائر، لا تعتقد ذلك، فهي الآن تستشعر كم المرارة التي كانت في قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما مات عمه أبو طالب على الكفر، شيء في غاية الصعوبة أن تفارق حبيبك وأنت في الدنيا حتى تفقد الأمل في لقياه في الآخرة، وهذا هو موقف مشابه لموقف سيدنا نوح لما مات ابنه على الكفر وطلب من ربه أن يدخله الجنة، ولكن الله أخبره أنه ليس ابنه بعد اليوم، فليس له أولاد إلا الصالحون، أما الكافر المعاند فليس ولده، لم يكن الحزن الكامن في قلب سيدنا نوح على موت ولده بقدر حزنه على أنه ليس له أمل في لقائه حتى في الجنة، كم هو إحساس صعب فراق الحبيب بغير أمل في العودة، ولكن لا ييأس من روح الله إلا الضالون، فما زال هناك أمل، مادام الإنسان على قيد الحياة فإن هناك أملا وإن الله قادر على أن يبدل الحال، فكما يخرج من الحجر ماء قادر أن ينشق من قلب

حائر إيمان وتصديق، ولم تفق "ياسمين" من حديثها النفسي إلا على صوت حائر وهو يقترب منها.

"كنتي فين لحد دلوقتي يا حبيبتي" قالها وهو يهوي بيده إليها ليحتضنها

ابتعدت "ياسمين" عنه وقالت "حائر، أنا أسلمت"

"ما شاء الله، فعلا؟ إيه المفاجأة الجميلة ديه، ربنا يثبتك"

لم يكن فعل ياسمين هو المفاجأة، فقد كان فعلا متوقعا، بل كلام حائر هو المستغرب.

-انت فعلا فرحان يا حبيبي؟

-طبعا يا حبيبتي فرحان، أنا هتصل بكل اصحابنا دلوقتي وأعرفهم بالخبر الجميل دا.

-ياااه ياحائر، أنا مش مصدقة اللي انت بتقوله، يعنى انت كمان اقتنعت بالفكرة؟

"ليه وانا عبيط؟" قالها حائر بعد ما تغيرت علامات وجهه.

نظرت له "ياسمين" في حالة من الصدمة والتوهان، لا تفهم ما الذي يجرى وما الذي يخطط له حائر.

-أنا مش عبيط يا ياسمين عشان أضيع نفسى في شوية خرافات، وطالما انتي اخترتي الطريق دا يبقى أنتي من سكة وأنا من سكة، إنتى اجننتى باين عليكى، وبكرة بقا نشوفك منضمة لجماعة إرهابية بعد ما تلبسى الحجاب وتبقى مشهورة، ولا يمكن تبقى إنتى رئيسة الجماعة، ولا ازاي تبقى رئيسة الجماعة، انتى جارية، هتبقي جارية من جواريهم يا ياسمين، أيوة جارية انتى أصلا بقت نفسيتك نفسية الجواري، هتتباعي في سوق النخاسة وانا اعتقد هتجيبى سعر كويس فيه، يعنى إنتى مش هتقلى عن ألف جنيه. كان الكلام في غاية القسوة ولم ترد عليه "ياسمين" سوى باغروراق عينها بالدموع، شعرت بكسرة وإهانة وحسرة على فراق حائر الذي أصبح واقعا، ولم تفق من صدمتها إلا بمغادرة حائر من البيت بعد ما صدر صوت عالٍ بعدما أغلق باب الشقة بعنف، غادر وقلبه يتقطع على فراق "ياسمين"

وعلى ما وصلت إليه الأحوال، ظل هائما في الشوراع على وجهه يطلق لعناته عليها، كيف لها أن تفعل هذا الفعلة؟ لقد كانت امرأة عاقلة يضرب بها المثل في العقل والحكمة، فكيف يؤول بها الحال إلى هذا المصير؟ كان علاجها أن أصدمها بالصدمات الكهربائية التي نالتها مني، نعم كانت زائدة بعض الشيء ولكنها كفيلة أن تعيدها إلى رشدها، ولكن كان من الممكن أن أقلل الحدة وأخفف حدة كلامي، لقد قلت لها كلاما مهينا ووقحا وسيئا، ومشاعرها الرقيقة لا تحتمل، لم يكن يجدر بي أن أقول لها مثل هذا الكلام الذي لا شك ترك وقعا سيئا في قلبها، هي زوجتي، كيف لي أن أرضى إهانتها؟ ولكن لم تعد "ياسمين" زوجتي بعد الآن، يا ويلي فهل بالفعل لن أرى ياسمين مرة أخرى؟ وإن كانت هذه هي النهاية بيننا فكيف لي أن أجرحها بكلامي؟ فهي حرة في اختيارها، أنا مخطئ لا شك، تبا لك يا حائر، تبا لك لما جرحت قلبا رقيقا صافيا بكل هذه القسوة، فليس لها في الدنيا إلا أنت، تبا وتبا ثم تبا لك.

في هذه الأثناء كانت "ياسمين" قد استعادت بعض قوتها خصوصا بعد أن توضأت وتهيأت للصلاة، نعم فليس هناك سبيل من الاعتصام من المصائب إلا باللجوء إلى الله، ولا يمكن أن ننشغل عن ديننا بمصائبنا بل لابد أن تقربنا إلى الله، فقد كان النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - يذكر الدين عند المصائب، فمع كل مصيبة تراه يسير على منهاج ما بلغه من الوحي، فهذه ابنته تموت فيدخل عليها ويأمر النسوة التي معها أن يغسلنها وفق ما أمر به الشرع، بل يموت ابنه إبراهيم وهذا من أكثر المصائب التي نزلت به، فقد أتى له ذلك الطفل على كبر، وهو بشر يحب ما يحبه البشر، وما أشد حب الإنسان لبنيه، ولكنه يفقده في سن صغيرة، وفى نفس الوقت تقريبا تكسف الشمس، فيذهب ليصلى بالناس أطول صلاة مأثورة عنه - صلى الله عليه وسلم -، ولعله ظل يصلي طوال ست ساعات كاملة لأنه مقتنع تماما بما يفعله وأنه وحي من عند الله، ويربط الناس بين موت إبراهيم وكسوف الشمس، ولو كان محمد - صلى الله عليه وسلم - كاذبا لأتت له فرصة تأييده على طبق من ذهب، ولكنه بين للناس أن الأمر ليس له علاقة

بموت ولده وأنَّ الحادثتين منفصلتان([٩٣])، بل لا ينسى العبادة والدين حتى في وقت موته وهي أكبر مصيبة تصيب الإنسان، تراه وهو يحتضر همه الأكبر الصلاة فكلما يفيق يسأل "أصلى الناس؟"، ثم تدخل عليه فاطمة وتقول وا كرب أبتاه فيرد قائلا "لا كرب على أبيك بعد اليوم"، ثم يخرج إلى الصحابة وهم يصلون، فيرفع ستر حجرته فيرونه حتى كادوا أن يخرجوا من صلاتهم لما رأوه مبتسما ظنا منهم أنه شفي، فأشار إليهم أن اثبتوا في صلاتكم، ثم أرخى الستر ورجع إلى سريره وظل يردد "بل الرفيق الأعلى"([٩٤])، فلم ينس رسول الله ربه ولا عبادته ولا دينه حتى وقت مصائبه وعند موته، بل آخر ما أرسله إلى مكذبيه بسمة طمأنينة من على شفتيه تدلل على صدقه وتتوعد مخالفيه، صلى الله عليك يا رسول الله.

obeikandl.com

([٩٣]) البخاري ١٠٤/٢

([٩٤]) راجع باب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فتح الباري لابن حجر ٥٥٩/٦

إسلام

ظل قلب "ياسمين" يتأرجح بين إحساسين متناقضين: إحساس الفرحة بهدايتها ومعرفتها بطريق الحق، وإحساس الحسرة الذي تكابده على زوجها الذي أصبح غريبا. كادت كثرة التفكير تقتلها، كيف لها أن تؤثر فيه وتقنعه؟ ذلك الرجل الصلب الذي عرف عنه الصلف والكبرياء فيما يخص موضوع الإسلام، وهو فيما دون ذلك أرق الناس وأرهفهم مشاعر، ولكن الله أكبر منه، وهو يعلم تمسكها بحائر، والله رحيم بها ويعلم أنها ليس لها طلب إلا أن يهدي الله حبيب قلبها، وإن لم يقدَّر أن تجتمع به في الدنيا ففي الدار الآخرة فهي دار البقاء، نامت "ياسمين" بعدما تبدلت ملامحها هذه الملامح الصارخة إلى ملامح ترتسم عليها علامات الهداية والطمأنينة، نامت ودموعها تسكن في عينها، وكلما نزلت دمعة أتبعتها بأخرى حتى استسلمت إلى النوم، ورأت رؤيا في نومها، غاية الجمال هذه الرؤيا بمثابة إشارات لما يستوجب عليها فعله، مدد وعون لها بعدما تخلى عنها نصيرها ومعينها من البشر، فارتكنت إلى الركن الشديد ونعم به ناصرا ومعينا، قامت "ياسمين" من نومها في غاية الفرح تحضر لما تفعله، فتحت حاسوبها الشخصي وجعلت تبحث عن أكثر المشايخ الذين لهم قبول عند الناس ودراية بالأديان الأخرى وخبرة بالحوار والجدال، ولم تتردد الشبكة العنكبوتية في إبراز اسم أبي يحيى كأحد أهم الدعاة المتخصصين في هذا المجال، فهو الشخص المناسب لهذه المهمة خصوصا لاقتراب سنه من سن زوجها، وما إن حصلت على رقم هاتفه الخاص إلا واتصلت به.

-السلام عليكم، الشيخ أبو يحيى؟

-أيوة، أبو يحيى مع حضرتك.

-أنا ياسمين يا شيخ، أسلمت حديثا وكنت محتاجة أقابل حضرتك.

"طبعا طبعا تحت أمرك" لم يكن إسراع أبي يحيى للموافقة على طلب ياسمين ناتجا عن إحساسه بالمسئولية أو منطلقا من مبدأ وعقيدة، فقد

كان الرجل يسخر من كل هذا في قرارة نفسه، إنما كان الصوت النسائي يهز كيانه بوجه عام، فما أن تخاطبه امرأة إلا ويحاول رمي شباكه عليها ليضمها إلى قائمة عشيقاته، فبئس الدعوة دعوته، وبئس المراد مراده.

-حضرتك يناسبك بعد ساعتين من دلوقتي؟

-طبعا مناسب جدا.

أغلقت "ياسمين" الهاتف مع أبي يحيى وقامت لتكتب رسالة إلى حبيب قلبها حائر

"السلام عيكم ورحمة الله،

اعلم حائر أن قلبي يتفطر وأنا أنطق اسمك أو أكتبه بغير ما يعبر عما في قلبي، ولكن أنت تعلم أنك أصبحت الآن رجل غريب بالنسبة لي، وقد كنت قاسيا عليَّ في آخر لقاء بيننا ولكن لم أغضب منك، ولن أفعل مهما فعلت ومهما لقيت منك إلا في حالة واحدة، أن تحرمني منك للأبد فلا نجتمع في جنة الرضوان، ووصيتي إليك أن تذهب مهما كانت الظروف إلى الشيخ أبي يحيى، ورقمه وعنوانه في ظهر الورقة، وقد رتبت لك موعدا معه في تمام الساعة الثانية. حائر، أريدك زوجا لي في الجنة فلا تخذلني"

ثم اتصلت بصديقتها "شيماء" وأوصتها بأن تصل إلى حائر مهما كانت المعوقات وتأتي به إلى شقتها، وقامت بلهفة وشوق لتتوضأ لتنصب نفسها أمام ربها، يا له من لقاء طال انتظاره، كبَّرت وقامت وقرأت ثم ركعت ثم رفعت ثم سجدت ثم رفعت ثم سجدت ولم ترفع، لقد ماتت "ياسمين".

اختار لها ربها أن تموت بين يديه بل وهي في أقرب ما تكون إليه، نعم ماتت "ياسمين" وهي تدعو لحائر بالهداية والتوبة وأن يلحقها في جنات النعيم، حتى ولو طال عمره فالمدة بالنسبة لها لن تطول، ماتت "ياسمين" وقطرات الماء تتناثر على وجها لتبل مكان سجودها وتترك

أثرا يشهد على إيمانها، وليترك هذا المشهد تلهفا في قلوب المشتاقين إلى ربهم وحسرة في قلوب المعاندين، أراد لها ربها وإن عاشت في ضلال أن تموت على هداية، وإن لم تدعُ أحدا إلى الله في حياتها تدعو إلى ربها بموتها.

وصلت "شيماء" إلى حائر وأخبرته بما حدث فطار فرحا بما يسمعه من دعوة واعتقد أن "ياسمين" تراجعت عن موقفها وأنها الآن ستبدي له الأسف على ما اقترفت من ذنب، ولم يفته وهو في الطريق أن يتصل بمنذر صديقه الذي يراه أنه سبب في انحراف زوجته الفكري حتى يبكته على محاولته البائسة لزحزحة "ياسمين" إلى عصور الظلام كما يطلق حائر هذا على عصر الكتاب والسنة، حزن منذر لما سمع من أخبار، ظن أنها حقيقية، وعن ردة "ياسمين" مرة أخرى لكن ما عساه أن يفعل فما هو إلا مذكر، أخرج حائر مفتاح الباب وفتحه ودخل شقته ففوجئ بمشهدها الدرامي، إنها في حالة إغماء، اندفع هو وصديقتها بغير شعور حتى أن جسدهما ارتطم بمقتنيات البيت، ذهب ليقلب "ياسمين" فإذا هي فارقت الحياة، صرخ حائر ناطقا اسم حبيبته التي لم يكن يتوقع أن يشهد مشهد وفاتها قريبا بل كان يتوقع أن ترى هي مصرعه بعد أن يبلغا من العمر عتيا، أمسك بالورقة التي كانت ملقاة بجانبها، وهو يقرأها باستغراب وألم شديدين وسط ذهول مشاعره ودموعه التي بلت رسالة حبيبته واختلطت بحبرها، ولم يبق في يده ما يعبر به عن حبه لها غير أن يتركها، نعم يتركها لينفذ وصيتها، ثم ليأتي إليها ليغسلها ويكفنها على وفق الشريعة الإسلامية، مضى في طريقه إلى أبي يحيى ترتسم في ذهنه صورة "ياسمين" حبيبته "كم أحبك بصدق، وكم هي الصدمة، لكن أنا متأكد أنك الآن في جنة الخلد، نعم حبيبتي أنت في الجنة وسألحقك إلى هناك، كم أنت طاهرة عفيفة، الآن تعلمت الدرس، نعم تعلمته يا رب، ويا ليتني تعلمته في أحضان حبيبتي وبغير فراق، ولكن لا بأس سنجتمع في يوم ما، وسيكون مهري إليك كمهر أبي طلحة لأم سلمة، الآن بت مقتنعا بحقيقة أنه لا طريق إلى الله إلا طريق محمد ولا باب إلا بابه، نعم في

قرارة نفسي كنت أعلم أنه رسول الله حقا ولكن كنت أعاند، خصوصا بعد سبقك إلى الإسلام، وقف حائر ظهر باب مكتب أبي يحيى الذي كان في أحد أكبر عمائر مدينة نصر وطرقه، بينما وقف الأخر بباطن الباب لكي يفتحه بوجه خبيث وعينان ماكرتان ينتظر فريسته القادمة، فإذا الطارق رجل، استاء أبو يحيى لما رآه، واستبق حائر الكلام وقال له:

-أنا حائر يا شيخ، حائر زوج مدام "ياسمين" إللى كلمت حضرتك النهاردة الصبح.

زاد استياء أبي يحيى - فلو كان يعلم أنَّ الآتي رجل لما لبى طلبه - وقال بصوت مغلف ببعض الأدب وإن كان يغمره ضيق:

"لكن هي أخبرتني انها هي إللى عايزة تقابلنى مش هتبعت حضرتك" قالها بعدما أدار له ظهره وجلس على مكتبه بغير حتى أن يأذن له بالدخول، ولم يكن حائر في حالة طبيعية حتى يلاحظ هذه الأشياء فظن أنها اشارة له بالدخول.

-لكن يا شيخ، ياسمين ماتت.

انزعج أبو يحيى واعتدل في جلسته وتغيرت علامات وجهه وأصبح في غاية الاستغراب، بينما قص عليه حائر القصص وكيف أن هذه المرأة الطاهرة قيضها الله لهدايته وكان منذ ساعة أو ساعتين في غاية الكبر، وكيف أنها ماتت ساجدة بل كانت تعلم موعد موتها، ولولا أنه متيقن بوجود الله لما شك في أنها هي التي حددته لنفسها واختارت كيفيته، وأخبره بوصيتها بأن يقابله رغم أنها ما زالت جثة لم تدفن، وهذا يتضمن ثقة عالية في الشيخ الذي يُشار إليه بالبنان، "هذه كرامة والله كرامة يا شيخ" وأجهش حائر بالبكاء.

طلق ناري، قذائف ومتفجرات كان يطلقها حائر على أبي يحيى، بل إن الصعق الكهربائي لأقل صدمة مما يسمع، وظل يردد في نفسه "هل كنت أحاول أن أنصب شباكي على امرأة من أهل الجنة، هكذا نظن بها، لا إله إلا الله، أين كان عقلي؟ وما الذي أوصلني إلى هذا

الحد من القاع؟" وكانت الدموع تتناثر من عينيه ندما وألما على نفسه، "يا رب، كما تبت على هذه المرأة الطاهرة فتب علي، أعلم أن بابك يتسع لي كما اتسع لها، سأعيش خادما في رحابك فاقبلني، أنا الظالم الجاهل أبو يحيى عبدك، نعم عبدك، والله عبدك، سأطرق بابك حتى تفتحه ولن أمَلَّ، وأعلم أنك لا تمَلُّ حتى أمَلُّ، أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

-يا شيخ، أريد أن أردد وراءك الشهادتين.

رجع أبو يحيى إلى محادثة نفسه "يا لله، من منا يحتاج أن ينطق الشهادتين أكثر؟ من منا يريد أن يتوب أنا أم أنت؟ لا تظن أن الشيخ أقل إجراما منك بل أكثر، فأنت لم تذق طعم الإيمان من قبل، أنا تذوقته وتخليت عنه، أنا الأظلم أنا الأظلم".

نطق أبو يحيى الشهادتين، وجعل حائر يرددها خلفه، وكلاهما نطقها بصعوبة بالغة وكأنهما يزيحان جبلا عن مكانه، مع دموع كفيلة بأن تغرق "مدينة نصر" بأكملها، ثم احتضن بعضهما لبعض بقوة وجعلا يبكيان وقتا طويلا.

"يجب أن نذهب الآن حتى نكرم جثمانها" قالها أبو يحيى وهو يجفف دمعه بمنديل في يده.

- معك حق يا شيخ، معك حق.

وقف أبو يحيى على قبرها بعد الدفن وقال:

"سبحان الهادي بعد الضلال، المنقذ من الغرق، والمنتشل من الهلاك، فابحث ما شئت فلن تجد من هو أرحم منه، وصلى الله على رسولنا وسيدنا ومولانا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أنقذ الناس من الجهالة، وعلمهم بعد الضلالة، وأخرجهم من براثين الكفر إلى حيرة الإيمان، ما عاداه إلا جاحد، وما أبغضه إلا جاهل، أما بعد، فلن تجد أكبر من القبر واعظا، ولن تجد آكد من الموت حقيقة، ولكن ليست المشكلة في الموت، المشكلة كيف نموت، أنموت على حق أم باطل؟

على نور أم ظلام؟ واعلم أن من مات على منهج المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فهو من الآمنين يوم القيامة يُعلي الله لهم ذكرهم في الدنيا وفى الآخرة. وأنا لا أعتقد أننا في يوم حزن بل هذا يوم عُرس، نعم يوم عرس، كم هي موتة جميلة ختم الله بها حياة هذه المرأة الطاهرة، وإن كانت ماتت بجثمانها فقد أحيا بها الله قلوبا كانت ميتة قبل ذاك، فارزقنا يا ربنا موتة كموتتها"

رجع أبو يحيى إلى بيته ووجد "هداية" زوجته في انتظاره بوجهها البشوش، أول ما رآها احتضنها بقوة وكأنه يراها بعد فراق طويل، قال لها "لقد اشتقت إليك يا من أجد فيها حنان الأم وحكمة الأب وعلم الأستاذ"

ياه، لقد رجعت له نغمته الهادئة ووجهه القديم.

قالت "هداية": عندي لك خبر مفرح.

-إيه هو يا حبيبتي؟

-أنا حامل، حامل.

علت الفرحة وجهه وضمها بقوة ولم يعلق إلا بجملة واحدة:

-إن كان ولدا سنسميه محمد.

-طيب ولو بنت يا عم الشيخ؟

نزلت دمعة من عينه وقال: سنسميها ياسمين.

obeikandi.com